جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

المجلة العلمية

من بلاغة الدعاء في النصف الثاني من صحيح مسلم باب ما يخص النفس وعموم المسلمين نموذجًا دراسة بلاغية

إعداد

الباحثة / زهور مصلح شاكر الرشيدي

قسم الأدب والنقد والبلاغة – كلية اللغة العربية وآدابها –

جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

(العدد الواحد والعشرون)

(يونيه ١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

من بلاغة الدعاء في النصف الثاني من صحيح مسلم باب ما يخص النفس وعموم المسلمين نموذجاً دراسة بلاغية.

الباحثة: زهور مصلح شاكر الرشيدي.

قسم الأدب والنقد والبلاغة– كلية اللغة العربية وآدابها –جامعة أم القرى– المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: *zar231.076@gmail.com*

الملخص

فإن بلاغة النبي ﷺ اعتبرت معدنا عظيما ونظما عاليًا للبلاغة العربية على وجه العموم، ولذا كان الورود إلى فيض بلاغته من تطلعي إلى ذلك البحث فأردت أن أدلي بدلو في تلك البلاغة، فجاء البحث تحت عنوان "من بلاغة الدعاء في النصف الثاني من صحيح مسلم باب ما يخص النفس وعموم المسلمين نموذجا" "دراسة بلاغية".

وقمت بترتيب بحثي وفق المعطيات الآتية فجاء الفصل الأول تحت عنوان: " من بلاغة دعاء النبي ﷺعلى وجه الخصوص": وجاء في أربعة مباحث، فقد تناولت في هذا الفصل خصائص الأحاديث النبوية التي شملت خصوص المدعو لهم من الصحابة ومن القبائل، وانطلقت من بلاغته ونظمه العالي إلى بيان ما اشتملت عليه هذه الأحاديث من أسرار بلاغية بما يتلاءم مع السياق العام والخاص لتلك الأحاديث.

أما ما يخص الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان: " من بلاغة دعاء النبي ﷺعلى وجه العموم": جاء في أربعة مباحث: وتوجهت من خلال بلاغته ﷺ في هذا الفصل إلى بيان ما يحمله من سمات عامة تناولت شمولية المدعو لهم أو المدعو عليهم، وقمت بتفنيد بلاغته بما يتلاءم مع سياق تلك الأحاديث في مبانيها ومعانيها.

وقد خلصت إلى نتائج عامة وخاصة، فمن نتائج العام توصي الدراسة إلى توجيه الباحثين للبحث في الحديث النبوي عامة والاستفاضة في فهم المعاني النبوية، ومن جهة الخصوص تحليل جمله ومضامينه بهدف الكشف عن وجوه الإعجاز فيه.

الكلمات المفتاحية: بلاغة الدعاء ، النصف الثاني من صحيح مسلم، باب ما يخص النفس وعموم المسلمين نموذجًا ، دراسة بلاغية.

The Eloquence of Supplication in the Second Half of Sahih Muslim: The Chapter on Matters Concerning the Self and the General Muslim Community as a Model A Rhetorical Study

Zohour Muslih Shakir Al-Rashidi,

Department of Literature, Criticism, and Rhetoric, College of Arabic Language and Literature, Umm Al-Qura University, KSA A Rhetorical Study

zar231.076@gmail.com

Abstract

The Prophet's eloquence is generally considered an excellent example of Arabic rhetoric. This research is a rhetorical study that illustrates the eloquence of the Prophet (pbuh) through some of his supplication, as mentioned in Sahih Muslim. The first chapter, which is entitled "The Eloquence of the Prophet's supplication, specifically," consists of four subsections. This chapter addresses the characteristics of the prophetic hadiths that include specific prayers for the companions and the tribes, and it reveals the rhetorical secrets contained in these hadiths. The second chapter, entitled "The Eloquence of the Prophet's Prayers in General," comprises four subsections. Counting on the eloquence of the Prophet (pbuh), this chapter aims to highlight the general characteristics of the Prophet's prayers, whether for or against someone. His eloquence has been analyzed in a way that aligns with the context of these hadiths, considering their structures and meanings. The study concludes with both general and specific results. Among the general results, the study recommends directing researchers to explore Hadith in general and to deepen their understanding of the Prophetic meanings. Specifically, it suggests analyzing the style and content of Hadith to uncover the aspects of its miraculous nature.

Key words: *eloquence of supplication – second half of Sahih Muslim – Matters Concerning the Self and the General Muslim Community - Model – rhetorical study*

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلِّ اللهم وسلم وزِد وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه إلى يوم الدين..

أما بعد، فإن الإنسان خليفة الله في أرضه، وأفضل مخلوقاته، فقد أكرم الله سبحانه وتعالى النفس الإنسانية، وعدّها ملكًا لخالقها، ودعاها إلى كل ما يرتقي بتلك النفس من العبادات، ومن أجلّ تلك العبادات وأعظمها الدعاء لما له من قيمة كبرى، ويعد الدعاء الصلة الحقيقية بين الإنسان وربه، فهو يمكن الإنسان من التواصل مع الله عز وجل والتضرع إليه بما يمر به من تقلبات في النفس، وبالدعاء يتجدد حال الإنسان ويتعزز إيمانه بالله عز وجل، ويتيقن أن كل شيء عائد إليه سبحانه وتعالى. أمر الله تعالى بالدعاء، وحث عباده عليه في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ غافر: ٦٠، وقوله تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الأعراف: ٥٥- ٥٦، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ الفرقان: ٧٧، وكان السلف الصالح يحرصون على أن يدعون الله ألا يسلبهم نعمة الدعاء. ويعد القرآن مصدرًا ثريًّا بالدعاء متنوعا بتنوع السياقات والمقامات، وكتب الحديث تضمنت عددا لا حصر له من الأدعية اللافتة كمّا وكيفا، وتبع ذلك أدعية المتصوفة والدعاة التي تحوي صيغا مختلفة تكشف عن أحوال النفس الإنسانية وموضوعاتها وقضاياها الروحية وتلبي احتياجاتها، وتشفى ظمأ خوفها، والدعاء في الدين الإسلامي نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، وتقوم فكرة الدراسة هنا على تناول جانب الدعاء الخاص والعام للنفس الذي يفرض طبيعة احتياجات الإنسان وميله لما يلبي الروح من صيغ يضبطها جمال الكلمة وتناسب الجمل وانسياب المعاني بتحقيق القيم الجمالية التي يتفق عليها جميع من حفظ صيغ الدعاء وتناقلوها وفق ما توحدت عليه عقولهم وأذواقهم.

وتقف الدراسة التي أقدمها عند بلاغة دعاء النبي ﷺ أعلى بيان بشري وصف بلاغته العقاد بقوله: "كان محمد ﷺ فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، وكان

بليغًا مرسلًا مبلغًا على أسس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين بل قدوة المرسلين"[(١)]، لذا اتجهت الرغبة للوقوف عند مكامن تلك البلاغة في جانب الدعاء، وتجلية خوافيها، وإبراز معالمها البلاغية وطرائقها المتنوعة، وباطلاعي على البيان النبوي وقفتُ على بعض النماذج لدعاء النبي ﷺ من بداية الكتاب الثامن والعشرين (كتاب الإيمان) إلى نهاية (كتاب التفسير)، بما يحويه من أدعية خاصة وعامة، ووجدت فيه ما يلبي الرغبة لدي بدراسة بلاغة البيان النبوي، فوقع الاختيار، على أن يكون مصدرها صحيح مسلم، لما امتاز به من منهج يسوق فيه الحديث بالكامل، ولا يقطّعه تحت مباحثه الفقهيَّة كما فعل الإمام البخاري- رضي الله تعالى عنهما-، وعن جميع علماء المسلمين..

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- الوقوف على وجوه بلاغة الدعاء في البيان النبوي، والقطْف من يانع ثمار هذه البلاغة العليّة.. فقد قال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)]؛ فسنة رسول الله ﷺ هدي في بلاغتها كما تهدي في عقيدتها، وشريعتها، وأخلاقها، وآدابها... إلخ.

٢- إثراء المكتبة البلاغية بزاد طيّب من بلاغة خير البرية ﷺ؛ فإنها خير ما يتربَّى عليه الباحثون في رحاب البلاغة العربية؛ فهي الطريق الرحب الذي يصل إعجاز القرآن ببلاغة البلغاء، والنموذج الأمثل الذي يجب أن يُحتذَى بعد بلاغة الذكر الحكيم..

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها:

١ - معايشة بلاغة البيان النبوي من خلال الجامع الصحيح للإمام مسلم، ودراسة ما

---

(١) عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ص ١١٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/١٧١/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ط:١، عام: ١٤١١ – ١٩٩٠.

اتسم به من فاعلية إبلاغيه وجمالية عالية.

٢ – الوقوف على مواطن الجمال، وطرائق البيان واستنباط وتحليل الأسرار البلاغية للسنة النبوية القولية في مقام ما يخص النفس وأحوالها وما تتطلبه، وما يخص عموم المسلمين.

فرضية الدراسة وتساؤلها:

تنطلق هذه الدراسة من محاولة استخراج السمات البلاغية في دعاء النبي ﷺ في خصوص الدعاء وما سبب خصوصية ذلك، وكيف كان دعاء النبي ﷺ حينما يدعوا على وجه العموم، وهل يوجد اختلاف بينه وبين دعائه على وجه الخصوص.

من خلال الفرضية المطروحة نجد أن الدراسة تدور حول سؤال رئيسي مفاده:

ما السمات والملامح الأسلوبية الفارقة بين المقامات المختلفة في أدعية النبي ﷺ ؟.

وأسئلة فرعية تتفرع من السؤال الرئيس وهي كالآتي:

١ – ما المواطن البلاغية في أدعية النبي ﷺ على وجه الخصوص والعموم؟.

٢ – كيف عبرت السنة النبوية القولية عن النفس الإنسانية؟.

منهج الدراسة وحدودها:

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي القائم على التحليل، ودراسة وتصنيف مادة البحث بعد جمعها، والمنهج الاستقرائي حيث قمت باستقراء بعض النماذج من أحاديث الدعاء على لسان النبي ﷺ وصنفتها من حيث الدعاء إلى أقسام.

أما حدود دراسة هذا الموضوع تتمثل في الدراسة البلاغية لصيغ الدعاء النبوي الشريف في النصف الثاني من صحيح مسلم وتحديدًا من بداية الكتاب الثامن والعشرين (كتاب الأيمان) إلى نهاية (كتاب التفسير)، فقد قمت باستقراء أحاديث الدعاء على لسان النبي ﷺ، وذلك بالرجوع إلى كتاب صحيح مسلم، وشروح الحديث، ووجدت بعضًا من نماذج أحاديث الدعاء للنبي ﷺ، وسيتم تصنيفها على حسب ما يأتي في أبواب الدراسة.

الدراسات السابقة:

البلاغة النبوية بصفة عامة محط أنظار الدارسين، وفي جانب الدعاء بما يخص النفس ويخص عموم المسلمين لم تمتد يد الدارسين وفق ما أفاد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أنه لا يوجد في قواعد البيانات ما يشير إلى أن الدعاء في هذه الزاوية من الدلالة قد درس من قبل وتناول حقه من البحث والدراسة، أمّا أهم الدراسات السابقة:

* دراسة: بلاغة التراكيب في كتاب الإيمان من صحيح مسلم، للباحثة نوير عيد مرزوق الفريدي، وهي رسالة ماجستير بجامعة القصيم، ١٤٣٦ هـ.

هدفت الدراسة إلى الوقوف على هيئات هذه التراكيب وصورها الأسلوبية، وعلاقة المتلقي – بلاغيًا – بهذه الأساليب التركيبية.

وتقوم دراسة الباحثة على بلاغة التراكيب بصفة عامة في كتاب الإيمان الذي يشمل عدة أبواب متشعبة ومختلفة، واقتصرت دراستها على بلاغة التراكيب في كتاب الإيمان وحده، ولم تتطرق بدراستها إلى بقية الكتب المذكورة في كتاب (صحيح مسلم)، وتختلف دراستي عنها بأنها تختص ببلاغة أحاديث الدعاء التي وردت على لسان النبي ﷺ في النصف الثاني من صحيح مسلم من بداية الكتاب الثامن والعشرين (كتاب الإيمان) إلى نهاية (كتاب التفسير)، وتقع النماذج التي اعتمدتها في هذه الدراسة ما بين الكتب التي ذكرتها ولا يوجد في كتاب الإيمان شيئًا منها ولقد ذكرته فقط كتوضيح لدراستي بإنها ليست في النصف الأول من كتاب الإيمان بل أنها في النصف الثاني منه لورود كتاب الإيمان في صحيح مسلم على جزئين، وصنفتها من حيث الدعاء إلى أقسام أوردتها في صلب البحث كما هي في الجزء المخصوص بالدراسة من الصحيح وهي كالتالي:

- قسم دعا فيه النبيﷺ لنفسه ولآل بيته الأطهار.
- قسم دعا فيه النبي ﷺ لعموم الأمة، أو تعليم أصحابه دعوات معينة أو بعضًا منهم.

– قسم اختص بدعاء النبي ﷺ على قوم أو جماعة بعينها(من أمثلة الدعاء السلبي).
ولم أجد في هذه الدراسة مبحثا يختص بالدعاء بصفة خاصة.

* دراسة: الدعاء في الحديث النبوي الشريف أساليبه ودلالاته، للباحثة صباح أحمد سالم الشريف، وهي رسالة ماجستير بجامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢م.
أطلعت على الدراسة ووجدت أنها دراسة مقتضبة لم تقف على تفاصيل معاني الدعاء.

* دراسة: بلاغة الدعاء– بحث في المبادئ والسمات والوظائف، للباحث عبد الفضيل أحمد ادراوي، وهي رسالة دكتوراة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمرتيل، التابعة لجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، ٢٠١٣م.

هذه الدراسة دراسة بلاغية نقدية وفيها حاول الباحث تطوير البلاغة وفق المناهج الحديثة التي تتناسب مع مقتضيات البلاغة التحليلية، وذكر فيها الخطاب الدعائي حيث خصص فصلا تحدث فيه عن تجريب فرضيات تصنيفية، وجزئية إضافية فصل فيه الخطاب الدعائي أنه من الغير ممكن فصل الخطاب الدعائي عن سياقاته وغاياته ومقاصده الخارجية.

* دراسة: دعاء الأنبياء في القرآن الكريم دراسة بلاغية، للباحثة فاطمة محمد النجار، وهو بحث في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، ٢٠١٧م.
جمعت الباحثة في هذه الدراسة الأدعية القرآنية للأنبياء، التي اشتملت على عبارات الثناء والتعظيم والتمجيد لله سبحانه وتعالى، وذكرت أيضًا طائفة من دعاء الملائكة للمؤمنين، وكذلك اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التفسيري حيث فسرت الآيات، وشرحت كلماتها، ثم بعد ذلك قامت بتحليلها تحليلًا بلاغيًا.

– وبعد الاطلاع على هذه الدراسات وجدت أن هذه الدراسات تختلف عن دراستي لهذا الموضوع؛ حيث وجدت أن أغلب الدراسات اهتمت بالجانب اللغوي، ودراسة الباحثة نوير عيد مرزوق الفريدي اهتمت ببلاغة التراكيب بصفة عامة في كتاب الإيمان، وتختلف دراستي هذه عنها أيضًا في فكرة الموضوع؛ حيث إن دراستي ستركز على ما

يتناول النفس الإنسانية، ويخصها بالدعاء، وتنتقل بعد ذلك إلى الدعاء لعموم المسلمين.

هيكل خطة البحث:

اقتضى البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وفصلين، تندرج تحتها مباحث وخاتمة.

المقدمـــة: وتشمل أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، وفرضيته وتساؤلاته، والمنهج المتبع فيه وحدوده، والدراسات السابقة له.

التمهيـــــد: ويشمل: التعريف بماهية الدعاء وما يتعلق به.

الفصل الأول: من بلاغة دعاء النبي ﷺ على وجه الخصوص.

ويُضم أربعة مباحث:

المبحث الأول: من بلاغة الدعاء الخاص بذات النبي ﷺ نفسه.

المبحث الثاني: من بلاغة الدعاء الخاص بآل بيت النبي ﷺ.

المبحث الثالث: من بلاغة الدعاء الخاص لفرد بعينه أو مجموعة من الصحابة -رضي الله عنهم-.

المبحث الرابع: من بلاغة الدعاء الخاص لقبيلة معينة.

الفصل الثاني: من بلاغة دعاء النبي ﷺ على وجه العموم.

ويُضم أربعة مباحث:

المبحث الأول: من بلاغة الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ لجميع المسلمين.

المبحث الثاني: من بلاغة تعليم النبي ﷺ بعض الأدعية لأصحابه، وللأمة من بعدهم.

المبحث الثالث: من بلاغة دعاء النبي ﷺ لنفسه مع عامة المسلمين.

المبحث الرابع: من بلاغة بعض الأحاديث التي وردت في الدعاء على أشخاص أو أقوام بعينهم من النبي ﷺ.

الخاتمـــــة، والتوصيات,:وتشمل النتائج التي توصل إليها الباحث.

ثبت المصادر والمراجع.

والله من وراء القصد وهو هادي السبيل

التمهيد

التعريف بماهية الدعاء، وما يتعلق به:

الدعاء لغة: كلمة الدعاء في الأصل مصدر من قولك: دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك(١). ودعا الرجلَ دعوًا ودعاءً: ناداه. والاسم: الدعوة. ودعوت فلانًا: أي صِحت به واستدعيته.(٢)

الدعاء شرعًا: معنى الدعاء "استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده منه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه"" .(٣) وهو الرغبة إلى الله عز وجل".(٤)

وقد ورد الدعاء في القرآن الكريم على وجوه، منها: العبادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾(٥) ومنها الطلب والسؤال من الله سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٦) ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ (٧).

---

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة، جـ٢، ط١، الناشر: دار الجيل، بيروت، ص ٢٧٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (د ع و)، ط٣، الناشر: دار صادر، بيروت، باب الدال، جـ٢، ص ١٢٢.

(٣) أبو سليمان الخطابي، شأن الدعاء، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، ط٣، الناشر: دار الثقافة العربية، بيروت، ص ٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٥) الكهف، الآية ٢٨.

(٦) البقرة، الآية ١٨٦.

(٧) غافر، الآية٦٠.

ومنها الاستغاثة، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٢)ومنها النداء، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾(٤).

نوعا الدعاء والعلاقة بينهما: "الدعاء الذي حث الله عليه في كتابه، ووعد المخلصين فيه بجزيل ثوابه، نوعان: دعاء المسألة، ودعاء العبادة".(٥)

أما دعاء المسألة فهو: "طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه".(٦)

وأما دعاء العبادة فهو: "التقرب إلى الله بجميع أنواع العبادة، الظاهرة والباطنة، من الأقوال والأعمال، والنيات والتروك، التي تملأ القلوب بعظمة الله وجلاله".(٧)

"ودعاء المسألة ودعاء العبادة متلازمان، وذلك من وجهين:

الأول: من جهة الداعي: فإن دعاءه بنوعيه مبني على الخوف والرجاء.

الثاني: من جهة المدعو: فإنه لا بد أن يكون مالكًا للنفع والضر".(٨)

---

(١) الأنعام، الآيتين ٤٠، ٤١.

(٢) البقرة، الآية ٢٣.

(٣) الإسراء، الآية ٥٢.

(٤) القصص، الآية ٢٥.

(٥) ابن تيمية، النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح، ط١، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ج١، ٢٠٠٠م، ص ١٣٦.

(٦) المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٧) السابق، ص ١٣٦.

(٨) السابق، ص ١٣٦.

الفصل الأول:

من بلاغة دعاء النبي ﷺ على وجه الخصوص.

ويشتمل على أربعة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: من بلاغة الدعاء الخاص بذات النبي ﷺ نفسه.

المبحث الثاني: من بلاغة الدعاء الخاص بآل بيت النبي ﷺ.

المبحث الثالث: من بلاغة الدعاء الخاص لفرد بعينه أو مجموعة من الصحابة – رضي الله عنهم–.

المبحث الرابع: من بلاغة الدعاء الخاص لقبيلة معينة.

الفصل الأول

من بلاغة دعاء النبي ﷺ على وجه الخصوص.

المبحث الأول: من بلاغة الدعاء الخاص بذات النبي ﷺ نفسه.

الحديث الأول

نص الحديث: حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس فيما قُرئ عليه عن هشام بن عروة عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة أنها أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مُسنَد إلى صدرها، وأصغت إليه وهو يقول: (اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق).(١)

رواية أخرى للحديث: حدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد: حدثني أبي عن جدي: حدثني عقيل بن خالد، قال: قال ابن شهاب: أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول اللهﷺ يقول وهو صحيح: (إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخيّر). قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي غُشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: (اللهم الرفيق الأعلى). قالت عائشة: قلت: إذًا لا يختارنا. قالت عائشة: وعرفت الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح في قوله: (إنه لم يُقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير). قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: (اللهم الرفيق الأعلى).(٢)

نلاحظ من سياق الحديث أن اليأس من الحياة لا يُعلم إلا إذا حَضَر الموت، أما قبل ذلك فإنه مهما اشتد المرضُ فإن الإنسان لا ييأس، وكم من إنسان اشتد به المرض حتى جمع أهله ماء تغسيله وحنوطه وكفنه ثم شفاه الله وعافاه، وكم من إنسان أشرف

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٦٤٤٦.

(٢) المصدر السابق، حديث ٦٤٥٠.

على الموت في أرض مفازة ليس عنده ماء ولا طعام فأنجاه الله عز وجل، ومن ذلك ما قال النبي ﷺ : (إن الله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته حين أضلها -يعني ضيعها- وعليها طعامُه وشرابه، وطلبها فلم يجدها، فاضطجع تحت شجرة ينتظر الموت أيس منها، وما بقي عليه إلا أن يموت، فبينما هو كذلك إذا بخطام ناقته متعلقًا بالشجرة ردّ الله عليه ضالته، حتى جاءت هذه الشجرة ترعاها فارتطم خطامها بها فأخذها الرجل، وقال: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك! يريد أن يقول: أنت ربي وأنا عبدك؛ لكنه من شدة الفرح أخطأ). فهذا الرجل أيس من حياته باعتبار صاحب الحال؛ لأنه فقد طعامه وشرابه؛ لكن اليأس الحقيقي هو ما إذا حضر الإنسان الموتُ، وصار في النزع، فحينئذ لا يمكن أن يحيى. قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ بلغت: يعني الروح، والحلقوم: يعني الحلق.﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ الملائكة أقرب إلى الإنسان من حلقومه عند احتضاره﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

تقول عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يقول: (اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى). هكذا يقول الرسول ﷺ عند موته، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! وقيل: "والرفيق الأعلى هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن" أولئك رفيقًا. هكذا كان الرسول يقول عند موته وكان عنده إناء فيه ماء، وقد أتي من شدة الموت وسكراته ما لم يؤت أحد؛ لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين. شدد عليه المرض شدد عليه النزع، لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر؛ لأن الصبر يحتاج إلى شيء يصبر عليه، فكأن الله قد اختار لنبيه ﷺأن يكون مرضه شديدًا ونزعه شديدًا، حتى ينال أعلى درجات الصابرين ﷺ ".[1]

(١) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، موقع ابن عثيمين على الإنترنت. رابط: http://binothaimeen.net/site

"فكان ﷺ يضع يده في الإناء الذي فيه الماء، ويمسح بذلك وجهه ويقول: (اللهم أعنّي على سكرات الموت) أو قال: (على غمرات الموت). أي: أعنّي عليها حتى أتحمل وأصبر وأتروى، ولا يزيغ عقلي وحتى يختم لي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لأن المقام مقام عظيم مقام هول وشدة، إذا لم يُعِنك الله عز وجل ويصبرك فأنت على خطر، ولهذا كان يقول: (اللهم أعني على غمرات الموت) وفي رواية أخرى يقول: (لا إله إلا الله، إن للموت سكرات)، نعم وصدق النبي ﷺ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ .[1] **وننطلق من بلاغته ﷺ في هذا الحديث من جهة مبانيه ومعانيه لنرى أسرارًا بلاغية منها:**

أولا: ترى ابتداءً قول النبي ﷺ: (اللهم)، بحذف أداة النداء، التي مقامها هنا الدعاء، والنداء أسلوب إنشائي عرفه البلاغيون بقولهم: "طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة"[2]، وعرّف أيضًا بأنه:"دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه"([3])، وبالنظر إلى أدواته فقد اتفق البلاغيون على ثماني أدوات وهي: "الهمزة، وأي، وآي، ويا، وأيا، وهيا، ووا، مع الإشارة إلى أن الهمزة نوعان مقصورة وممدودة"([4]). فالهمزة وأي لنداء القريب، وغيرهما لنداء البعيد[5].

---

(١) ابن عثيمين، مرجع سابق.

(٢) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ٢٠٠٣م، ٤٥٥/١، ص ٤٧٤.

(٣) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، ط١٢، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٠٥، وانظر أيضًا، د. أحمد محمد نحلة، علم المعاني، دار العلوم العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٠٢.

(٤) يحيى العلوي علي بن حمزة، الطراز، طبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م، ج٣، ص ٢٩٣.

(٥) بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة جدة، دار الرفاعي الرياض، ط٣، ١٩٨٨م، ص ٦٦٠.

والحذف يحمل خصوصية بلاغية عالية أشار إليها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز في باب الحذف بقوله: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبن"(١).

ولا شك أن الأمر في الجملة إنما هو من قبيل الدعاء والابتهال إلى الله تعالى، وليس أمرًا من عالٍ في الرتبة إلى دانٍ، كما يعرفه النحويون(٢)، وإنما هو دعاء وإن خرج مخرج الأمر، مع القرينة الحالية في الجملة والقرينة اللفظية، فالحال في الجملة حال ابتهال ورجاء من الله تعالى، واللفظ يشي بلا منازع إلى الدعاء بقوله ﷺ: (اللهم...)، ومن هنا لم يجز عند جمهور النحويين أن يجمع بين الميم في آخر لفظ الجلالة وبين حرف النداء أيًا كان، وما ورد في لسان العرب من الجمع بين الأداتين معًا فهو شاذ، ومنه قول الشاعر:

إني إذا خطب ألمَّ **** قلت: يا اللهمَّ يا اللهمَّ(٣)

ثانيا: حذف المضاف إليه للدلالة عليه من المضاف، وهو ما جاء في قول النبي ﷺ: (وألحقني بالرفيق)، يريد: الرفيق الأعلى، وهو من جملة الايجاز بالحذف؛ للتوصل للمعنى بسرعة دون إطالة، وهذا الحذف ينم عن ضيق وألم حول النبيﷺلشدة مرضه وقرب حلول أجله فكان الإيجاز مناط خطابه لمن حوله، كما أن الحذف كشف الحُجب عن المعنى وترك السامع يثير تساؤلات في نفسه" ما شدة الآلم الذى مر به النبي ﷺ؟،

(١)عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخاشقجي، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٤٦.

(٢) عرفه عباس حسن في كتابه النحو الوافي بقوله: "الأمر معناه: طلب فعل شيء، ولا يكون أمرًا إلا إذا كان صادرًا ممن هو أعلى درجة إلى من هو أقل منه"، ينظر لكتاب النحو الوافي ج٤، طبعة دار المعارف، ص ٣٦٦، بتصرف.

(٣) ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك في النحو والصرف، باب النداء، الأزهر، ج ٣، ص ١٠١. والشاهد من الشواهد المشهورة في الباب.

هنا ضع نفسك موضعا تقرأ قوله ﷺ بدون حذف ووازن بينهما تجد الفرق بيَّن، والمعنى متضح من أن الحذف" هو قِلادَةُ الجِيد، وقاعدةُ التَّجويد"(١)،وقد حذف الفعل وهو المسند هنا "لضيق المقام"(٢) عن إطالة الكلام وبسطه، مما تناسب مع المعنى ولاءم السياق.

ثالثا: ترى في قوله ﷺ: (اللهم الرفيق الأعلى) فيه قصر بحذف الفعل المضارع مع الجار، وتقديره: (اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى)، وهو من جماليات القصر بالحذف على الجملة، ولكن عند الوقوف على سياق الحديث نجد أن الرسول ﷺ كان في زمار الموت وغمراته فالمقام ضيق لا يستحسن فيه الكلام وتلك خاصية الحذف؛"يكون لتصفية العبارة وترويق الأسلوب من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها"(٣)، هذا من ناحية، فالحذف قصد به تنبيه السامع حول موقف النبيﷺعندما خير بين الدنيا ولقائه بالرفيق الأعلى، وترى الإمام الجرجانى يرشدنا لهذا المعنى في بلاغة الحذف الذي ذهب بالنفس كل مذهب حول شدة مرض النبيﷺ وفهم الصحابة رغم حذف الكلمة من فمﷺ وأضمرها ولم يقلها، بقوله:" قد بانَ الآنَ واتَّضحَ لِمَنْ نَظَر نظَرَ المتثبِّتِ الحصيفِ الراغبِ في اقتداحِ زِنادِ العَقْل، والازْديادِ من الفضْلِ، وَمْن شأْنُه التوقُ إلى أن يَعْرِفَ الأشياءَ على حَقائقها، ويَتغلغَلَ إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذبي يَجري معَ الظاهِر، ولا يَعْدو الذي يَقَعُ في أولِ الخاطرِ أَنَّ الذي قلتُ في شأنِ "الحَذْف" وفي

(١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهرالناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة/الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م،صـ١٥١.

(٢) د/ محمد محمد أبوموسى خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ، مكتبة وهبة، ط٨: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، صـ٣٠٩.

(٣) خصائص التراكيب، صـ١٩٦.

تفخيم أمرِه، والتَّنويهِ بذِكْره، وأنَّ مأْخَذَه مَأْخذٌ يُشْبِهُ السِّحْر، ويَبْهَرُ الفِكْر "[1]، وهذا من ناحية آخرى.

ثالثا:كما نرى بلاغة التعريف"الرفيق"؛ التى دللت بدورها على كونه معهودًا ومعروفًا لمن حوله، كما نرى جمال الاستعانة بـ"الباء" للإلصاق فإن التعبير بها له أثر في تقوية المعنى وكأنه ألصق نفسه بالرفيق الأعلى.

وهذا: فبعد الغوص في بلاغته ﷺ تأتي خصوصية الدعاء بالحديث في أن كثيرًا من الأحاديث ما تكون من غير سبب، ومنها ما تكون بعد سبب، سواء كان هذا السبب سؤالا أو حادثة أو قصة، فيعقب النبي ﷺ على السبب، فيكون قرينة مُعِيْنة على فهم معنى الحديث؛ إذ قد يكون لفظ الحديث عامًا أو خاصًا، أو يكون ظاهره موهمًا معنى غير مراد، فبمراعاة السياق الذي قيل فيه الحديث، ومراعاة الملابسات والظروف التي توضح مقصود الحديث، يسدد الناظر في تنزيله على المعنى الصحيح.

وهنا: تأتى ماهية الخصوص في هذا الحديث :

أن النبي ﷺ قد خصّ نفسه بالدعاء وهو على فراش الموت، وقد وضح من الروايات المختلفة أن الله تعالى قد خيّر النبي ﷺ بين الدنيا وبين لقاء الله، فاختار الرفيق الأعلى، وعند الوقوف على تلك الخاصية للنبي ﷺ، يتبين أن الأنبياء لهم مقامهم المخصوص عند رب العالمين جل جلاله، وأن النبي محمدﷺ قد أختص زيادة عن الأنبياء باستئذان ملك الموت له في قبض روحه ﷺ وهنا نجد النبي ﷺ قد اختار الموت، واستخدم أسلوب الكناية في قوله: "الرفيق الأعلى" ويدل على ذلك الرواية الأخرى للحديث بقوله:" (إنه لم يُقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير)،فاختار الرفيق الأعلى.

---

(١) دلائل الإعجاز،صـ١٧١.

بل عند إمعان النظر ترى أن بشريات الموت جاءت ثابتة للصحابة والأولياء، فهذه رواية جبل أحد ثابتة، "حينما قال النبي للجبل:، اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان"[(١)]. يعني أبو بكر الصديق وعمر وعثمان"، رضي الله عنهم أجمعين، وهكذا، فإنني قد استنبطت أن الدعاء في الحديث خاص بذات النبي ﷺ ؛ لأن الموت قد يخيّر فيه الأنبياء فضلًا عن علمهم بأوانه، بينما هو بأجل معلوم عند ما عداهم صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث ٣٦٩٧ جـ ٨/صـ١٩٧/مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية

المبحث الثاني: من بلاغة الدعاء الخاص بآل بيت النبي ﷺ.

الحديث الأول

نص الحديث: حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد -وتقاربا في اللفظ- قالا: حدثنا حاتم -وهو ابن إسماعيل- عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا، فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ ؟ فلن أسبه. لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه، فقال له: علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان! فقال له رسول الله ﷺ : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي). وسمعته يقول يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله). قال فتطاولنا لها فقال: (ادعوا لي عليًا). فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية:﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: (اللهم هؤلاء أهلي) .[1]

نلحظ من سياق الحديث أن فضل آل بيت النبي ﷺ عظيم، وقد استحث الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا على معرفة بقدر ومقدار آل بيت النبي ﷺ قال تعالى:﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ والنبي ﷺ يشيد بحبه لعليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- في الحديث بجميل عنايته به واهتمامه.

وإذا ما تأملنا بلاغة الحديث من حيث مبانيه ومعانيه نرى أسرارًا بلاغية منها:

أولا: إن قول النبي ﷺ (لأعطينّ الراية رجلًا يحب الله ورسوله)، هو أسلوب من

(١) صحيح مسلم، طبعة دار الرحاب ٢٠٠٧، القاهرة، مصر، حديث ٦٣٧٣.

أساليب التوكيد، وذلك مع زيادة النون المشددة، التي تؤدي إلى رسوخ المعنى المقصود في ذهن المتلقي، كما لا يخفى اتصال لام التوكيد المستهل بها الفعل المضارع، وهو إن دل فإنما يدل على رسوخ المعنى في ذات النبي ﷺ وإقدامه عليه مؤكدًا غير راجع فيه فأسلوب التوكيد فيه:" رغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام عند المخاطب وتقريره في النفس"(١)، وهذا راجع إلى محبته ﷺ لآل بيته وأهله.

ثانيا: جملة قوله ﷺ (اللهم هؤلاء أهلي)، دعاء مع حذف أداة النداء، والتعويض عنها بالميم المشددة في آخر لفظ الجلالة، كما أن الحذف يوحي" بشعور المنادِى بقربه من المنادَى "(٢)، فبلاغة الدعاء دون أداة النداء في المنادى (وهو لفظ الجلالة): إشعار المتلقي بقرب المنادى وعدم بُعده، وكيف لا؟ وقد ألغى الله الواسطة بينه وبين عبده في الدعاء حتى يقربه ويسامحه ويغفر له، ومن هنا جاءت بلاغة الأسلوب بحذف أداة النداء، لعلم النبي ﷺ أنه ينادي قريبًا سبحانه وتعالى، ؛لينبه إلى عظم هذه المعاني التي نودوا من أجلها، مع ما في ذلك من تعظيم المنادى وبعد منزلته.

ثالثا:ترى البلاغة في قول النبي ﷺ (أما ترضى أن تكون...؟). إنما هو استفهام وليس على سبيل الحقيقة، وإنما هو استفهام غرضهُ العرض والتحضيض، وتقدير الكلام: (هلّا كنت مني بمنزلة هارون من موسى!)،وبلاغته تكمن في أنه "يهيئ نفس المتلقي لتتلقى من السياق ما يجيش به من خواطر ومشاعر وصور"(٣)، مما يعمق المعنى لدى المتلقي، ترى بلاغة القصر، قول النبي ﷺ (اللهم هؤلاء أهلي). فالنبي ﷺ قد

---

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، صـ١٣٠.

(٢) سليمة محفوظي/ وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج" رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر لخضر- الجزائر ٢٠١٠/٢٠١١/ صـ ١٧١.

(٣) محمد محمد أبوموسى، دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، ط٤: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م. ، صـ٢٥٥.

قصر الدعاء في جملة الدعاء وترك الأمر لله تبارك وتعالى، فهو الذي عليه الجزاء ومنه الفضل والمنة، والإضافة "أهلي" إليه ﷺ ليدل على أن أهله هم قطعة لا تتجزأ منه، وفيها من المحبة ما لا يخفى.

رابعا: أسلوب القصر واضح في قول النبي ﷺ (لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله). بحذف الضمير العائد لئلا تزيد المباني، والقصر من بلاغة الأساليب، والتنكير في قوله: "رجلا" للتعظيم والتفخيم وفيه ما لا يخفى من ثقته ﷺفي حب هذا الرجل لله ورسوله.

وبعد الوقوف على بلاغته ﷺ: يتبين أن خصوصية الدعاء بالحديث حيث روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي –رضي الله عنه– قال: (ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح به إذا دُعِي بها، جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة عليها السلام، فلم يجد عليّاَ في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني فخرج فلم يقِل (ينم وسط النهار) عندي، فقال رسول الله ﷺلإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺوهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شِقِّه (جانبه) فأصاب تراب، فجعل رسول الله ﷺيمسحه عنه وهو يقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب (أي: يا أبا تراب). وفي رواية مسلم: (فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شِقِّه، فأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: قم أبا التراب! قم أبا التراب!).[1]

هنا تأتى الخصوصية في الحديث: حيث ترى أن المدعو لهم ليسوا من عامة الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما كانوا من خاصة الخاصة، حيث كانوا عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا رضوان الله عليهم، ومن هنا قد أدرجت الحديث في مقام الخصوصية، لكون

(١) محب الدين الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق إكرام البوشي، تقديم محمود الأرنؤط، موقع العتبة الكاظمية المقدسة بشبكة الإنترنت، ص ٧٨.

الدعاء من النبي ﷺموجهًا إلى مجموعة من آل بيته الكرام. وهذا سبب كافٍ في مقام الخصوصية، لا سيما وأن النبي ﷺ- قد خصهم بالإضافة إلى نفسه.

كما دلل الحديث في خصوصه على: محبة النبي ﷺ لعلى كرم الله وجهه ذلك عندما غزا إلى تبوك، فلحقه علي كرم الله وجهه يسأله، لما روج المنافقون أن النبي ﷺ قد خلفه استثقالًا له! فقال: "يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي؟"[١]، وفي رواية أخرى عن سهل بن سعد الأنصاري عن النبي ﷺ قال "يوم خيبر -وخيبر معروفة في نواحي المدينة شمال المدينة- غزاهم النبي ﷺ - في عام سبع من الهجرة، وفتح الله عليه خيبر، وكانت فيها اليهود، ففتح الله عليها واستنقذ خيبر من أيديهم، واستعملهم فلاحين فيها بنصف ما يخرج منها من ثمر، أو زرع، وصارت من بلاد المسلمين وتحت يد المسلمين. وهنالك قال النبي ﷺ في ذلك اليوم: "لأعطين الراية غدًا لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله"".[٢]

الحديث الثاني

نص الحديث: حدثني أحمد بن حنبل: حدثنا سفيان بن عيينة: حدثني عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال لحسن: (اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه).[٣]

رواية أخرى للحديث: حدثنا ابن أبي عمر: حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبي هريرة، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه، حتى جاء سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، ص ٧٩.

(٢) انظر: شرح ابن باز على الحديث، موقع ابن باز على الإنترنت، على رابط: https://binbaz.org.sa/.

(٣) صحيح مسلم، حديث ٦٤٠٩.

فاطمة، فقال: (أثم لكع أثم لكع). يعني: حسنًا. فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخابًا، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه).[١]

رواية أخرى للحديث: حدثنا عبيد الله بن معاذ: حدثنا أبي: حدثنا شعبة عن عدي – وهو ابن ثابت–: حدثنا البراء بن عازب، قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي ﷺوهو يقول: (اللهم إني أحبه فأحبه).[٢]

رواية أخرى للحديث: وحدثنا محمد بن بشار وأبو بكر بن نافع، قال ابن نافع: حدثنا غندر: حدثنا شعبة عن عدي –وهو ابن ثابت– عن البراء، قال: رأيت رسول الله ﷺواضعًا الحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: (اللهم إني أحبه فأحبه).[٣]

يتبين من سياق الأحاديث أنها في فضل الحسن بن علي –رضي الله عنهما–، وفيه يدعو النبي ﷺلابن بنته السيدة فاطمة الزهراء .[٤]– رضي الله عنها–، وكانت فاطمة أحب خلق الله إلى قلب النبي ﷺ

وعند النظر إلى مادة:(اللكع) فهي تدل علي: الصغير الذي لا يهتدي لمنطق ولا بيان".[٥] ويقصد النبي ﷺ من ذلك المرح والتبسط مع ولد ابنته فاطمة –رضي الله

---

(١) المصدر السابق، ٦٤١٠.

(٢) السابق، حديث ٦٤١١.

(٣) السابق، حديث ٦٤١٢.

(٤) "وهو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد. خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلًا حليمًا محبًا للخير، فصيحًا من أحسن الناس منطقًا وبديهة، حج عشرين حجة ماشيًا. وكانت مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام. وولد له أحد عشر ابنًا وبنتًا واحدة. وكان نقش خاتمه: (الله أكبر وبه أستعين)خير الدين الزركلي الدمشقي، الأعلام، ج ١، ص ١٣٢.

(٥) النووي، شرح مسلم، المكتبة العلمية الحديثة، بيروت، لبنان، ط:٢،ج ١٣، ص ٢١٨.

عنهم- أجمعين. هذا من شأن محبة النبي ﷺ للحسن رضي الله عنه، وتلك دعوة خالصة من النبي ﷺ للحسن -رضي الله عنه-، ومن شدة حب النبي ﷺ للتقرب من ابن ابنته فاطمة -رضي الله عنها- أن كان حاملًا له على عاتقه. وهو مزيد من الإكرام والتشريف والإكبار، فلم ينل تلك المكرمة إلا من خالج حبه حقًا قلب النبي ﷺ.

عند النظر إلى بلاغة حديثه -عليه الصلاة والسلام- فيما يخص معانيه ومبانيه نرى أسرارًا بلاغية منها:

أولا: تأكيده تلك المحبة بأداة التوكيد (إنَّ)، ولا شك أن ذلك من عظيم مقدار الحسن -رضي الله عنه- في قلب جده النبي ﷺ فأسلوب التوكيد يدل على أسبقية حب النبي ﷺ للحسن، ثم مناسبة التوكيد لمقام الدعاء والابتهال إلى الله، وجمال التعبير في المبني باللفظ المضارع (أحبه...)، دليل على تجدد المحبة واستبقائها في قلب النبي ﷺ فاللفظ دليل على أسبقية الحب وبقاء الحب وتجدد الحب، كما أن" الفعل المضارع يجعل الحدث الغائب كأنه يقع الآن، وأحداثه تنقضي أمام الرائي، فالجوانب الغيبية التي لم تقع عليها حاسة الإنسان ولم تدرك حقيقتها يجعل منها المضارع مشاهدات تخالط المشاعر وتلتبس بها..."[(١)]، وتلك من عظيم بلاغته ﷺ.

وفي الحديث حسن تقسيم بين الجملتين (اللهم إني أحبه، فأحبه)، وبين الجملة الثانية (وأحبب من يحبه). وحسن التقسيم باب من البديع لا يطرقه إلا أولو النهى ([٢])، وأفضلهم وأعلاهم كعبًا رسول الله ﷺ.

---

(١) ظافر ابن غرمان العمري ينظر: بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، ،صـ١٦٣/ الناشر مكتبة وهبة القاهرة/ط:١/ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م،بتصرف.

(٢) ذكر أحوال الشئ مضافا إلى كل حال ما يلائمها ويليق به"/ علم البديع دراسة تاريخية فنية لأصول البلاغة ومسائل البديع / تأليف: بسيونى عبد الفتاح فيود/ صـ٢١٦/ ط:٤/٢٠١٥ م/ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

ثانيا: في الحديث أيضًا تكرار صوتي بين لفظي (أحبه، فأحبه) فصوت" الهمز،والحاء" من الأصوت الحلقية"فالهمز صوت شديد لا بالمجهور ولا المهموس، والحاء من الأصوات الرخوى: يسمع لها نوع من الحفيف عند النطق بها" [(١)]، فتحمل تلك الكلمة"أحبه ،فأحبه" معانى كثيرة فهى من الوجهة النفسية: فيها الطمأنينة لكل من أحبه النبي ﷺ وغرق في بحر قلبه العظيم ، ومن الوجهة الفكرية: يشير إلى قدم تلك المحبة وعظمتها، فهم ليسوا إلا أحباب له ﷺ يرى في قربهم زهرة الحياة وفرحتها.

ثالثا:الذى ينعم النظر يرى بلاغة التكرار في الحديث النبوي ليست غريبة على العرب، وإنما هو سنة من سننهم كما يقول ابن قتيبة (٢٧٦هـ): "وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرائق القول، ومآخذه، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار"[(٢)].

وللتكرار في الحديث النبوي ضربان تكرار بالمعنى دون اللفظ، وتكرار باللفظ والمعنى وأتى التكرار هنا باللفظ والمعنى، وأعني بتكرار اللفظ إعادة اللفظ نفسه، وتكرار المعنى معنى الحب نفسه عند النبي ﷺ وهنا نرى بلاغة التكرار في كونه" من أساليب التأثير في قلب المتلقي وعقله، وهو السبيل إلى تقوية المعنى في نفسه"[(٣)].

(١) د. إبراهيم أنيس/ينظر: في اللهجات العربية، أستاذ بكلية دار العلوم القاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية سابقا/صـ ٨٧/٩٠/الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ ط:٥.

(٢) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت (٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، ط٢، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ٢٣٣.

(٣) نزال فوز سهيل كامل ، أساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني شعر الإمام الشافعي أنموذجا، ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، المجلد٩، ع٤، صـ٥.

رابعا: قصد "الفاء" الدالة على التعقيب وعدم المهلة[١]؛ ليدل على السرعة في التقرير بالمحبة ، ودعوة النبي ﷺ مستجابة، فمن أحبه النبي ﷺ فهو من أهل الله الذين يحبهم، وهكذا الحسن بن علي، بمقتضى دعوة النبي ﷺ كما ترى جمال تبسط النبي – ﷺ مع الصغير بذلك الاستفهام: (أثم لكع؟)، وهو استفهام فيه من السؤال كما فيه من الملاطفة والشغف بملاقاة الصبي الصغير.

خامسا: اللطيفة البيانية في قوله:اللكع استعارة مكنية عن صغر سن الصبي، فقد صور الصبي بشئ تائه لا يحسن التصرف والاهتداء، بجامع"صغر السن في كل"، والاستعارة هنا" تقرر الصفة بطريقة مؤكدة، وموجزة قريبة من تجربة السامع أو القارئ"[٢]، فالنبي ﷺ قصد الحسن –رضي الله عنه– بهذا التشبيه، غير أنه لم يذكر اسمه، مع ترك القرينة الدالة على إرادته الحسن –رضي الله عنه–، كما لا يخفى مكانة الحسن –رضي الله عنه– في تصوير النبي ﷺ له بتلك الأوصاف التى دللت بدورها عن محبته له وهنا تكمن قيمة الاستعارة في إلباس المعانى ثوب المحسوس حتى ينخرط في نفس السامع تلك المكانة:" فالاستعارة " أشد وقعًا في نفس المخاطب؛ لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق في سماء الخيال، كان وقعها في النفس أشد، ومنزلتها في البلاغة أقوى"[٣]، وهذا تناغم مع المقصد وأكد المعنى.

---

(١) أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري، الجنى الداني في حروف المعاني/ تح: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل/الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ط:١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م،صـ٦٨.

(٢) د: مصطفى هدارة، علم البيان ط:١/الناشر: دار العلوم العربية بيروت ـ لبنان ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م،، صـ٧٨.

(٣) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ، ضبط وتدقيق وتوثيق: د/ يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.ط:١٢ ،صـ٢٥٨.

هنا يظهر لنا مدى خصوصية الدعاء في الحديث أن الدعاء كله خاص بشخص هو الحسن بن علي –رضي الله عنهما–، حيث كان النبي شغوفًا به –رضي الله عنه–، فخرج الدعاء مخرجًا خاصًا على لسان النبي ﷺ للحسن بن علي –رضي الله عنهما.

الحديث الثالث

نص الحديث: حدثني زهير بن حرب: حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا).(١)

رواية أخرى للحديث: وحدثناه أبو سعيد الأشج: حدثنا أبو أسامة، قال: سمعت الأعمش ذكر عن عمارة بن القعقاع بهذا الإسناد، وقال: (اللهم اجعل رزق آل محمد كفافًا).(٢) من الملحوظ في هذا الحديث أن الدعاء لم يأت بلفظه الصريح ، ولكنه جاء بلفظ غير صريح، وهو"اجعل"؛ لأن فعل الأمر في خطاب رب العزة لا يكون إلا دعاءً.

وكما نلحظ في سياق الحديث أن المقصود بالقوت هو "الكفاف من كل شيء، حتى أن النبي ﷺ لا يريد أن يستزيد من الدنيا إلا بقدر الكفاف فقط. والقوت كفاية الحاجة، فكأن النبي ﷺ كره الزيادة في الغنى".(٣)

وكما أن المعنى الذي يمكن استفادته من الحديث، أي: بلغة تسد رمقهم وتمسك قوتهم، بحيث لا ترهقهم الفاقة ولا تذلهم المسألة والحاجة، ولا يكون فيهم فضول يصل إلى ترفه وتبسط ليسلموا من آفات الغنى والفقر. والكفاف ما يفضل عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة، والقوت ما يسد به الرمق. قيل: "سمي قوتًا لحصول القوة به.

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٧٦٣٠.

(٢) المرجع السابق، حديث ٧٦٣٢.

(٣) أبو بكر بن العربي، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/صـ ٨٧.

وسلك النبي ﷺ في هذا الحديث طريق الاقتصاد المحمود، الذي هو جزء من خمس وعشرين جزءًا من أجزاء النبوة كما ثبت في الحديث، ذلك أن كثرة المال تلهي، وقلته تنسي، فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى"[١]. والمقصود بالكفاف، هو ذات معنى القوت من الكفاية والرضا بما آتى الله آل محمد من فضله، قال أيضا ابن بطَّال: "فيه دليل على فضل الكفاف، وأخذ البُلغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك؛ إيثارًا لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك "[٢].

وفي هذا الدعاء نرى من حيث المبنى والمعنى أسرارًا بلاغية منها:

أولا: نرى الإضافة وجمالها في قوله:" ازرق آل محمد" أفاد التعظيم فكأنه أراد أن يبارك لهم في هذا الرزق المعظم لكونهم مضاف إليهم، لأن" المضاف إلى عظيم يعظم بالإضافة إليه"[٣]، وقد تناسب المعنى المعجمى لكلمة"قوت" :"ما يسد الرمق وفيه فضيلة التقلل من الدنيا"[٤]، والاقتصار على القوت منها مع الاتيان بهذه الكلمة نكرة التى مفادها التقليل ، والأمر في الدعاء، ليس أمرًا على الحقيقة من عالٍ لدانٍ ، وإنما هو دعاء يرجو القبول من الله تعالى. ودعاء النبي ﷺ مستجاب بلا ريب، كما ترى أن النبي ﷺقد قصره على آل بيته، ولم يدعو به لعامة المسلمين. وذلك لأن الناس على اختلافهم يحبون الاستزادة من المال والرزق، وهذا أيضًا إشارة لرجاء النبي ﷺأن يكون رزق آل بيته ﷺعلى حد الكفاف، وهو الكفاية.

آخرا: كما آثر النبي مادة جعل ولم يقل مثلا "اللهم ارزق آل محمد قوتا" لأن الجعل يدل

---

(١) المناوي، فيض القدير، ج ٤، ص ٣٣.

(٢) النووي، شرح مسلم، ج ١٣، ص ٢٤٥.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل٣/٣٤٦.

(٤) أبو زكريا النووى، المنهاج شرح صحيح مسلم ، دار احياء التراث العربي بيروت،ط:٢، ١٣٩٢هـ ١٤٦/٧.

على إحداث الشئ بتغير فيه، فجعل تدل على" تَغْيِير بإيجاد الْأَثر فِيهِ"[1]؛ ليدلل على أن رزق آل محمد هو من عند الله قادر على تغييره كما يشاء ليس فيها من تدخل البشر من شئ وتلك بلاغة عليا من نبي الهدىﷺ وبلاغتهﷺ في الحديث تراها؛ بحذف أداة النداء على لفظ الجلالة، مع التعويض عنها بميم مشددة في آخر اللفظ الجليل. وهذا أدعى إلى الإلقاء في الروع أن النبي ﷺينادي قريبًا مجيبًا.

وعند النظر إلى عمومية الحديث وخصوصيته: ترى حب النبي ﷺ لأمته فلو اختص الأمة كلها رزقًا بالقوت والكفاف؛ لشق ذلك على عموم الأمة، بينما النبي ﷺ يلزم نفسه وآله بعزائم الأمور دون غيرهم. وللأمة التيسير في كل شيء، ومن هنا ترى أن أشد مفهوم للخصوصية في هذا الدعاء أن الأمة بمجملها لا تحتمل دعاء النبي ﷺ بالقوت فقط، فالناس يحبون الاستزادة من متاع الحياة الدنيا، وهنا اختص النبي نفسه وآله بالدعاء، كيلا يصرفهم بالانشغال عن الحق واكتساب الأموال.

الحديث الرابع

نص الحديث: حدثنا زهير بن حرب وأبو بكر بن النضر قالا: حدثنا هاشم بن القاسم: حدثنا ورقاء بن عمر اليشكري، قال: سمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس أن النبي -ﷺأتى الخلاء، فوضعت له وضوءًا فلما خرج قال: (من وضع هذا؟). في رواية زهير قالوا. وفي رواية أبي بكر، قلت: ابن عباس. قال: (اللهم فقهه).[2]

وفي سياق هذا الحديث دعاء من النبي ﷺ لـ"عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ابن عم النبي ﷺ العباس، وأعلم الناس بكتاب الله، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن"[3] فلقد أعجب النبي ﷺ بابن عباس -رضي الله عنهما-،

(١) أبو هلال الحسن مهران العسكري،الفروق اللغوية/دققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم،الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ١٣٦/١.

(٢) صحيح مسلم، حديث ٦٥٢٣.

(٣) نصوص من الحديث النبوي، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠٠٨، مصر، ص ٣٠.

ومن ثمار هذا الإعجاب، أن حصل ابن عباس –رضي الله عنهما– على مكافأة جزيلة، وبشرى عظيمة في نفس الوقت، ألا وهي: دعاء النبي ﷺ له بالعلم والفهم.

نحن على العموم في سياق الحديث: نعلم بأن بركة دعاء النبي ﷺ– لابن عباس – رضي الله عنهما– قد تحققت، فتحقق دعاء النبي ﷺ لابن عباس –رضي الله عنهما–، حيث قال له ﷺ"اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل"(١). حيث أصبح فقيهًا، وإمامًا يُقتدى به في التفسير، وتأتى تميّز هذا الصغير عن غيره، بأن كان حريصًا على ملازمة النبي ﷺوالاستفادة منه ﷺ ، ومن هنا كان تفوّق ابن عباس –رضي الله عنهما– على كثير من الصحابة في العلم، يقول عنه عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: "لو أن هذا الغلام أدرك ما أدركنا، ما تعلقنا معه بشيء"(٢). وقد ألهم الله ابن عباس –رضي الله عنهما– حُب العلم منذ الصغر، فما ما أجمل أنْ يشغل الإنسان وقته بما يعود عليه بالنفع.

وعلى الخصوص: ترى بركة دعائه –ﷺ لابن عباس فقد اجتمعت له أمجادٌ عدّة، وهي: "مجد الصحبة مع رسول الله ﷺ ومجد القرابة، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ومجد العلم، فهو حَبر الأمة، وبحر علمها الزاخر، ومجد التقى، فقد كان صوامًا بالنهار، قوامًا بالليل، مستغفرًا بالأسحار، بكّاء من خشية الله"(٣)، مع العلم أن ابن عباس –رضي الله عنهما– لم يُقدّم له العلم على طبق من ذهب، بل جدّ في طلبه. ومن ذلك في وضع الوضوء للنبي ﷺ إذ فيه دليل على أنّ ابن عباس –رضي الله عنهما–كان يرقب فعل النبي ﷺ فدعاء النبي ﷺ لعبد الله بن العباس –رضي الله عنهما– بالفقه، وهو ما

(١) أحمد بن حنبل، المسند، الرسالة، ج ٣٠، ص ٢١٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٤٣.

(٣) الأزهر، نصوص من الحديث النبوي، سنة ٢٠٠٨، الإدارة العامة للمكاتب والمكتبات والوسائل، مجمع البحوث الإسلامية، قطاع المعاهد الأزهرية، ج ٢، ص ١٦.

يعنى الفهم. ومنه علم أصول الفقه، أي أصول الفهم.

وفي بلاغة حديثه -عليه الصلاة والسلام- فيما يخص معانيه ومبانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا: فقد دعا النبي ﷺ بحذف أداة النداء، استباقًا إلى الدخول في المراد من الدعاء، مع إعطاء فرصة للمتفكر استشعار قرب الله تعالى للداعي، فالله تعالى هو القريب المجيب، وكما يدل الحديث على ذكاء وفطنة ابن عباس -رضي الله عنهما-، وظهور علامات النبوغ والفهم لدى ابن عباس -رضي الله عنهما-.

آخرا: نرى المعنى في قول النبي ﷺ (اللهم فقهه)، ولم يقل: اللهم اجعله فقيهًا. وذلك لأن من أصول التفقه وجودته الممارسة، وليس الجعل من قوة فوقية، فالتفقه ليس موهبة وإنما اختبار وممارسة،التفقه يحمل أسرارا من الدين والعقيدة فإضافته من خلال الضمير العائد على ابن عباس دلالةعلى اختصاصه بتلك المكانة وذاك الشرف تعظيما لمكانته وتفخيما لأمره ، مما يدلل على هذا سؤال النبيﷺ بقوله"(من وضع هذا؟)، فأسلوب الاستفهام هنا" من أوفر أساليب الكلام إظهارًا للمعانى"[(١)]، وكأن من فعل ذاك يستحق التكريم فسؤاله-ﷺ تفخيما لذلك الفعل ومن قام به وتلك بلاغته العالية ﷺ.

ومن خصائص تلك الخصوصية : نرى أن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قد بلغ من العلم مبلغًا كبيرًا وعظيمًا، حتى تفوق على كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، وحتى أصبح حبر الأمة وترجمان القرآن، -رضي الله عنه-، ومن ثم كان الدعاء متوجه إلى شخص بعينه، فضلًا عن كونه من آل بيت النبي ﷺ فإن الدعاء في تلك الحال يكون على وجه الخصوص.

---

(١) نوال علي عبدالرحمن ،صورة السماء والأرض في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، ، رسالة ماجستير مخطوطة كلية الدراسات جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، إشراف أ.د/خليل عودة، صـ٢٠١١م. صـ١٧١.

المبحث الثالث: من بلاغة الدعاء الخاص لفرد بعينه أو مجموعة من الصحابة -رضي الله عنهم-.

الحديث الأول

نص الحديث: حدثنا عمرو الناقد: حدثنا عمر بن يونس اليمامي: حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي كثير يزيد بن عبد الرحمن: حدثني أبو هريرة، قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺما أكره، فأتيت رسول الله ﷺوأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ(اللهم اهد أم أبي هريرة). فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ-، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت مكانك يا أبا هريرة. وسمعت خضخضة الماء -قال- فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ- فأتيته وأنا أبكي من الفرح -قال- قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا -قال- قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، -قال- فقال رسول الله ﷺ(اللهم حبب عبيدك هذا -يعني أبا هريرة وأمه- إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين). فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.(١)

يتبين من سياق العموم في الحديث: أن أبا هريرة أكثر الصحابة رضوان الله عليهم رواية للحديث عن النبي -ﷺوذلك لكثرة ملازمته للنبي ﷺ. وكان من أهل الصفة، ولم يكن الدعاء من النبي ﷺ لأبي هريرة إلا لشدة حبه له، ورجاء أن تسلم أمه فتنال

(١) صحيح مسلم، حديث ٦٥٥١.

المرتبة العليا في الدنيا والآخرة.

وإذا ما تفكّرنا في بلاغة الحديث من حيث المباني والمعاني نرى أسرارًا بلاغية منها:

أولا: ابتداًء بقول النبي ﷺ(اللهم)، بحذف أداة النداء، التي مقامها هنا الدعاء، كما جاءت بلاغة الأسلوب بحذف أداة النداء، لعلم النبيﷺ أنه ينادي قريبًا سبحانه وتعالى.

ثانيا: نرى العبارة في دعاء النبي ﷺ فيها تصغير لفظ (عبيدك)، وهو من دلالة التودد لأبي هريرة من جهة، والتذلل والتقرب إلى الله تعالى من جهة أخرى. فالتصغير من فوائده التودد والتقليل، كما لا يخفى جمال الإضافة"عبيدك" وهى الكاف" العائدة إلى لفظ الجلالة والتى دللت بدورها إلى أن العبودية لله وحده وكلنا نسير بها إلى الله ، ولهذا كان التودد من جهة النبي ﷺ لأبي هريرة، والتقليل من شأن التذلل إلى الله تعالى في الدعاء.

ثالثا:إشارة اللفظ (هذا) إلى أبي هريرة حقه كمال العناية، فالإشارة لا تعني سوى التخصيص الكامل للدعاء من النبي ﷺلأبي هريرة، فاستوجب أن يكون اسم الإشارة دالًا على ذلك،" لما في الإشارة من التمييز والوضوح"[1]، تلاءمًا مع المعنى وتعظيمه في ذهن المتلقي.

رابعا :الفعل (اهدِ) معتل الآخر، فاستوجب في حال صدوره أمرًا على سبيل الدعاء أن يبنى على حذف حرف العلة، مع بقاء دليل على حذفه، وهو الكسرة الأخيرة،وقصد النبي ﷺ لأبي هريرة الهداية في لفظة"اهد" دون غيرها مثل"ارشد"؛ لأن الهداية تعنى"التَّمَكُّن من الْوُصُول اليه وَقد جَاءَت الْهِدَايَة للمهتدي فِي قَوْله تَعَالَى (اهدنا

(١) خصائص التراكيب صـ ٢٣٨.

الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم)"(١)،بينما "أرشد" تأتى بمعنى"غلى الشَّيْء هُوَ التطريق اليه والتبين لَهُ"(٢)، فقصد ﷺ التَّمَكُّن في الفقة والإجادة في الطريق للوصول إلى كل علم يُنتفع به، وتلك بلاغتة العالية ﷺ التي تقف عندها الأذهان وتحتار فيها الألباب.

إن الحديث في فضل أبي هريرة، وهو عبد الرحمن بن صخر، "وقد ولقب بأبي هريرة ، لأنه وجد هرّة فوضعها في كمّه وداعبها، وقيل إنه كانت له هرّة وهو صغير يرعى غنم أهله ويلاعبها، فكنَّاه النبي ﷺ بذلك" (٣)، وأن النبي ﷺ قد دعا بالدعاء مخصوصًا لأبي هريرة وأم أبي هريرة –رضي الله عنهما–، اللافت للأمر أن أبا هريرة –رضي الله عنه– قال للنبي ﷺ على وجه الخصوص: (ادع لأمي). إذن فالدعوة من منطلقها مخصوصة لأم أبي هريرة –رضي الله عنهما–،والطلب خارج من أبي هريرة –رضي الله عنه–، متوجه للنبي ﷺ، خاص بأن يدعو لأم أبي هريرة. فاستجاب الله تعالى، وآمنت –رضي الله عنها–. ولذلك خرجت الدعوة مخصوصة بأبي هريرة وأمه رضوان الله عليهما.

الحديث الثاني

نص الحديث: حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر: حدثنا شعبة: سمعت قتادة يحدث عن أنس عن أم سليم أنها قالت: يا رسول الله، خادمك أنس ادع الله له، فقال: (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته).(٤)

رواية أخرى للحديث: وحدثني زهير بن حرب: حدثنا هاشم بن القاسم: حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس، قال: دخل النبي ﷺعلينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي،

(١)،الفروق اللغوية صـ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق صـ٢٠٩.

(٣) تأليف :محمد عجاج الخطيب ،بتصرف: كتاب السنة قبل التدوين، /دار الفكر للطباعة، بيروت/ط:٣ جـ١/صـ٤١١.

(٤) صحيح مسلم، حديث ٦٥٢٧.

فقالت أمي: يا رسول الله خويدمك، ادع الله له. -قال- فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه).[١]

رواية أخرى للحديث:

حدثني أبو معن الرقاشي: حدثنا عمر بن يونس: حدثنا عكرمة: حدثنا إسحاق: حدثنا أنس، قال: جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: (اللهم أكثر ماله وولده). قال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم.[٢]

ونلحظ من سياق الحديث أن أنس بن مالك بن النضر، من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، وقد خدم النبي ﷺعشر سنين، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

وقد دعا له النبي ﷺ بالبركة في المال والولد، لما جاءت به أمه للنبي ﷺ عندما قدم المدينة مهاجرًا من مكة، ووهبت له أنسًا -رضي الله عنه- خادمًا.

وإذا ما نظرنا إلى بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسرارًا بلاغية منها:

أولا: بلاغة الدعاء دون أداة النداء في المنادى (وهو لفظ الجلالة): فنرى أن النداء "يهيئ المنادى وينبهه فيصغي بعناية وتشوق إلى ما يوجه إليه بعد النداء، ويترقبه ويتطلع إلى معرفته والإحاطة به، فهو طريق من طرق التشويق إلى المعنى"[٣]، وتلك بلاغة الإيجاز التى تعلمناها من النبيﷺ.

---

(١) المصدر السابق، حديث ٦٥٣٠.

(٢) السابق، حديث ٦٥٣١.

(٣) بسيوني عبد الفتاح فيود التشويق في الحديث النبوى طرقه وأغراضه، / ط:١ ١٤١٤/١٩٩٣م/ مطبعة الحسين الإسلامية، خلف الجامع الأزهر،، صـ٣١.

ثانيا:الدعاء قول النبي ﷺ : (أَكْثِر). فاللفظ من الإفعال، يعني الإكثار. وهو مناسب للامحدودية قدرة الله تعالى، فهو الذي يقول للشيء: كن، فيكون. وذلك واضح من جلال اللفظ الذي يعني بالضرورة معنى التكثير، كما لا يخفى ما في لفظ البركة الوارد بالرواية الأولى من نكتة بلاغية، فهي شيء خفي غير محسوس بالمادة، وإنما هو محسوس بالمعنى والرضا القلبي، فهى بركة مشهورة ومعلومة للجميع لها تمييز خاصة بها لا يهتدى لها إلا من رضي بالله ورزقه عز وجل.

ثالثا: دلالة الصوت في قوله:" ماله وولده" والهاء المضافه إلى الصحابي في دعاء النبيﷺ والوقوف على الهاء وانتهاء الصوت بالوقف أنسب مع الغاية المنشودة من بلوغ المعنى منتهاه إلى الصحابي فيسمع أولهم وآخرهم كرم دعاء النبي ﷺ: لأصحابه، ويشتمل المعنى في الوقف بصوت الهاء على وجهتين: الأولى وجهة نفسية: الأثر النفسي الذى خلفه الوقف على المال والأهل وكأنهم ملكية لإنسان لا يملكهم جان ولا غيره فقصد به النبيﷺ الطمأنينة للصحابي أن الله يبارك له ويرزقة بقاء البركة فيهم.

الوجهة الأخرى عقلية: أن أى تموجات ووقفات في الصوت ناتجة عن الأثر السمعى الذى يترجمه العقل عقب سمعه لقصر ووقف الصوت المشعر أن الأهل والولد هم مبتغى الإنسان ونعيم دنيته وبفقدهم ينبرى الألم وتعلو الأهات وهنا قالوا:"العامل الثانى وهو العامل النفسي ذلك لأن الأثر السمعى لأى تموجات صوتية مرجعه إلى تفسير المخ لها وهذا التفسير هو الذي يحار في كنهه علماء الأصوات"[1]، وكل هذا دعم المعنى ووضحه.

ومن هنا تتبين لنا خصوصية الدعاء: أن النبي ﷺ قد التمس منه الدعاء لأنس بعينه، وكان الملتمس هو أم أنس أو خالته. فخرجت الدعوة على سبيل الخصوص

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط:٥،١٩٧٥، الناشر:مكتبة الأنجلو المصرية،صـ١٥١.

وليس العموم، حتى وإن عممها النبي ﷺ في ولد أنس -رضي الله عنه-. إذ تبقى خاصة بأنس -رضي الله عنه- وولده هو، فضلًا عن ماله وعمره.

ومن جهة الخصوص: فالطلب خرج من أم أنس ابتغاء الدعوة لأنس -رضي الله عنه-، إذن فالدعوة مطلوبة على وجه الخصوص وليست عامة، ومن هنا كان اشتمال الدعوة على الخصوصية أمرًا بدهيًا؛ لأن النبي فعل ما التمس منه ورفع يداه داعيًا لأنس بن مالك، مما أثر على حياة أنس -رضي الله عنه- بالإيجاب بعد ذلك، فأصبح أكثر الأنصار مالًا وولدًا.

الحديث الثالث

نص الحديث: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا يزيد بن هارون: أخبرنا ابن عون عن ابن سيرين عن أنس بن مالك، قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقُبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن مما كان. فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: (أعرستم الليلة؟). قال: نعم. قال: (اللهم بارك لهما). فولدت غلامًا. فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ فأتى به النبي ﷺ وبعثت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال: (أمعه شيء؟). قالوا: نعم، تمرات. فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في فيّ الصبي، ثم حنّكه، وسماه عبد الله.[1]

وفي سياق هذا الحديث آية من آيات الله عز وجل، حيث دعا لهذا الصبي فبارك الله فيه وفي عقبه، فإن: "الحديث يشير إلى بركة دعاء النبي ﷺ حيث إنه كان له تسعة من الولد كلهم يقرؤون القرآن، ذكر علي بن المديني من أسماء أولاد عبد الله بن أبي طلحة ممن حمل العلم وقرأ القرآن: إسحاق وإسماعيل ويعقوب وعمير وعمر

(١) صحيح مسلم، حديث ٥٧٣٧.

ومحمد وعبد الله وزيد والقاسم"[١] فعند إمعان النظر نعلم أن الابتلاء بفقد الأحبة من أعظم البلاء، وفقد الولد يأتي في مقدمته؛ فالأولاد هم فلذات الأكباد، وريحانة الفؤاد، وربيع القلوب، وقرة العيون. وفي القصة مثال رائع، وقصة مؤثرة لمن ابتلي بفقد الولد، فاستقبل البلاء المبين، بالصبر واليقين، والرضا بقضاء رب العالمين. "والتحنيك مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي، ثم يُدلك حنكه، وأفضله التمر، فإن لم يتيسر تمر فرطب، وإلا فشيء حلو".[٢]

ولما مات ابن أم سليم لم تُظهر الحزن؛ مراعاة لشُعور زوجها. "والابن المذكور هو أبو عمير، الذي كان النبي ﷺ يمازحه ويقول له: (يا أبا عمير، ما فعل النُّغير؟)"[٣]، فهنا ترى أن الحديث لبيان حال أم سليم من التجلُّد، وجودة الرأي، وقوة العزم، وكانت –رضي الله عنها– تشهد القتال، وتقوم بخدمة المُجاهِدين، إلى غير ذلك مما انفردت به عن معظم النسوة.

الغوص وراء المعنى الخاص في الحديث :ترى أن ترك المرء ما أُبيح له من إظهار الحزن الذي لا إسخاط فيه لله تعالى، وقهر النفس بالصبر الذي هو خير، فالفرح والسرور والغضب حالات تعتري الإنسان، فهو مجموعة من الشعور، والموت حق على كل مخلوق، ومن هنا قد اهتمت الشريعة بالطفل قبل ولادته، باختيار الأم الصالحة، وبعد أن يولد بتحنيكه، وتسميته، والتأذين في أذنيه والإقامة، وإماطة الأذى، والعقيقة عنه، إلى غير ذلك من الأحكام، وكما تأتي خصوصية الدعاء في الحديث أن النبي – ﷺ قد خصّ أبا طلحة وزوجه –رضي الله عنهما– بالدعاء.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط،ج ٦، ص ٨٨.

(٢) فتح المنعم، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٨.

(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص ١٨.

وإذا ما نظرنا إلى بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا: علامة التثنية (لهما)، ولا يخفى ما في تلك الخصوصية من الالتفات الذي يهيئ المتلقي وينشط عقله؛ ليصغى لتلك المحبة وهذا الدعاء، فجاء الالتفات من المخاطب وهو طلحة وزوجه إلى الغائب بضمير"لهما"؛ تلطفا بهم ومحبة لشأنهم رضى الله عنهم، وأدخل في النصح لغيرهم أن يكون مثلهم، فالالتفات:"إنما يكون قصدا لإثارة السامع وتجديد نشاطه بهذه المخالفة وعند مقاطع معينة من المعانى تقتضى اللفت والتنبيه والهز والتحريك"[(١)]،تلاءم مع المعنى ووضحه للعقل وبشر به القلب.

أخرا: موقف الحديث نفسه يُبيَّن أن الأمر محمول على الخصوص، فالدعاء كان مخصوصًا به أبا طلحة وزوجه وابنهما، -رضي الله عنهم-. ومن هنا اقتضت مناسبة الحديث القول بخصوصية دعاء النبي ﷺ لأبي طلحة وزوجه وابنهما، كذلك فإن الدعاء خرج مخرج الخصوص، بحسب موقف الحديث.

الحديث الرابع

نص الحديث: حدثنا عبد الله بن براد أبو عامر الأشعري وأبو كريب محمد بن العلاء - واللفظ لأبي عامر- قالا: حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبيه، قال: لما فرغ النبي -ﷺ من حُنين، بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم الله أصحابه، فقال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر -قال- فرمي أبو عامر في ركبته، رماه رجل من بني جشم بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه، فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إن ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني. قال أبو موسى: فقصدت له فاعتمدته فلحقته، فلما رآني ولى

---

(١) د/ محمد محمد أبوموسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة، ط٢: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،صـ٦٣٩.

عني ذاهبًا، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحيي؟ ألست عربيًا؟ ألا تثبت؟ فكف، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربته بالسيف فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: إن الله قد قتل صاحبك. قال: فانزع هذا السهم، فنزعته، فنزا منه الماء، فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر استغفر لي. قال: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيرًا، ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي ﷺ ، دخلت عليه وهو في بيت على سرير مرمل، وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال قل له يستغفر لي. فدعا رسول الله ﷺبماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: (اللهم اغفر لعبيد أبي عامر). حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس). فقلت: ولي يا رسول الله، فاستغفر. فقال النبي ﷺ (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا). قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى.(١)

في سياق هذا الحديث نوضح معنى "أوطاس" هو واد في ديار هوازن، وكانت هوازن قد هزمت في غزوة حنين، فتجمع بعضهم في أوطاس، وفي هذا الحديث أنه لما فرغ النبي ﷺ من غزوة حنين بعث أبا عامر وهو عم أبي موسى الأشعري أميرًا على جيش، إلى أوطاس؛ فلقي دريد بن الصمة وقتله، ودريد: هو رجل من الشعراء الفرسان الحكماء المشهورين في الجاهلية، وهزم الله أصحابه، وبعث النبي ﷺ أبا موسى مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم، أي: رجل من بني جشم، (فأثبته) أي: أصابه السهم في ركبته، قال أبو موسى: فانتهيت إليه فقلت: يا عم من رماك؟ أي: بهذا السهم. فأشار إلى أبي موسى، أي: أشار أبو عامر إلى أبي موسى يخبره عن الذي رماه، فقال: ذاك قاتلي الذي رماني. قال أبو موسى: فقصدت له

(١) صحيح مسلم، حديث ٦٥٦٢.

فلحقته، فلما رآني ولى، أي: هرب مني، فاتبعته، أي: سرت في أثره، وجعلت أقول له: ألا تستحيي! أي: من هروبك مني، ألا تثبت! أي: فتقاتل كالرجال، فكف الجشمي قاتل أبي عامر عن الفرار، قال أبو موسى: فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، أي: ضرب كل منا الآخر ضربةً، حتى قتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، أراد عدوه الذي ضربه بالسهم، قال أبو عامر لأبي موسى: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء، أي: نزل منه، ثم أوصى أبو عامر أبا موسى -رضي الله عنهما- أن يبلغ النبي -ﷺالسلام، وأن يسأله أن يستغفر له، ثم استخلف أبو عامر أبا موسى على الجيش، فمكث يسيرًا ثم مات، فدخل أبو موسى على النبي ﷺفي بيته فوجده على سرير مرمل، أي: منسوج من ورق النخيل، وكان على هذا السرير فراش، غير أنه قد أثرت هذه الحبال في ظهر النبي ﷺ وجنبه، فلما أخبره أبو موسى بالخبر وما قاله أبو عامر، طلب النبي ﷺ ماءً فتوضأ ثم رفع يديه، فقال: اللهم اغفر لعبيدك أبي عامر، حتى ظهر بياض إبطيه، ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس)، وذلك في المرتبة والدرجة، ثم طلب أبو موسى من النبي ﷺ أن يستغفر له، فقال: (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا)، أي: مكانًا كريمًا وحسنًا. وكانت إحدى الدعوتين لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى".[1]

ليس هناك شك في أن الأمر في الجملة؛ إنما هو من قبيل الدعاء والابتهال إلى الله تعالى ، وإنما هو دعاء وإن خرج مخرج الأمر، مع القرينة الحالية في الجملة والقرينة اللفظية، فالحال في الجملة حال ابتهال ورجاء من الله تعالى، واللفظ يشي بلا منازع إلى الدعاء بقوله ﷺ(اللهم...).

وإذا ما نظرنا إلى بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

(١) فتح المنعم، مرجع سابق، ج ٩، ص ٢٠٢.

أولا:الدعاء دون أداة النداء في المنادى (وهو لفظ الجلالة): إشعار المتلقي بأن المنادى يسمع ما في قلبه قبل البوح به على اللسان، وعقب بعد النداء بالأمر في قوله:"اغفر"؛ لينبه على فضل محبة النبي ﷺ- لأصحابه وتقديره فضلهم ومكانتهم في الإسلام، فـ"النداء يصحبه ـ غالبا ـ الأمر والنهى والاستفهام، وكأنه يعد النفس ويهيؤها لتلقى تلك الأساليب، ولذا فهى تتقوى به، لأن النداء يوقظ الحس ويلفت الذهن وينبه المشاعر، فإذا جاء بعده الأمر أو النهى أو الاستفهام، صادف نفسًا مهيأة يقظة، فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحس واع وذهن متنبه"[(١)]، فتتشوق النفس إلى المعنى وعندما يصادفها يشفى ظمائها ويهدأ فكرها.

ثانيا: في الحديث حسن تقسيم بين الجمل، فقد قال النبي ﷺ(اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا). ولا يخفى ما في الجملتين من تناغم بينهما يورث جرسًا موسيقيًا في الأذن، فأسلوب الوصل يدل على تواصل الدعاء الدالة على المحبة للصحبي الكريم، ليدلل على" أن كل صفة كاملة ومغايرة للأخرى"[(٢)]، مما تتم المعنى وأكده.

ثالثا: قد عبر النبي ﷺ بالتعبير القرآني (مدخلًا كريمًا)، فأراد المحل وهى الجنة وأطلق الحال فعلاقته الحالية مما يدلل على محبته له، فالمجاز العقلي أفاد في ذلك" المبالغة والإجادة"[(٣)]،وتلك بلاغته ﷺفي حسن توظيف المعانى والألفاظ.

ومن تأمل في نظمه العاليﷺ تبين له: أن خصوصية الدعاء في الحديث أن النبي ﷺ- قد خص أبا موسى الأشعري وأبا عامر -رضي الله عنهما- بالدعاء. بدليل

---

(١) د٠بسيونى عبد الفتاح فيود علم المعانى دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعانى /الناشر مكتبة وهبة ١٤٠٧هـ،/ ج٢/صـ١٥٤.

(٢) دلالات التراكيب،صـ٢٨١.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج٣/ صـ ٣٨٥/المحقق: عبد السلام محمد هارون/الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة/الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م

ذكرهما بالاسم وتخصيصهما بالدعاء، فمن الأحاديث ما تكون من غير سبب وهي كثيرة، ومنها ما تكون بعد سبب، سواء كان هذا السبب سؤالا أو حادثة أو قصة، فيعقب النبي ﷺعلى السبب، فيكون قرينة مُعِيْنة على فهم معنى الحديث؛ إذ قد يكون لفظ الحديث عامًا أو خاصًا، أو يكون ظاهره موهمًا معنى غير مراد، فبمراعاة السياق الذي قيل فيه الحديث، ومراعاة الملابسات والظروف التي توضح مقصود الحديث، يسدد الناظر في تنزيله على المعنى الصحيح،هذا من جهة.

ومن جهة أُخرى: يدرك أن الناظر لمناسبة الحديث جعلته يعلم أن القول بخصوصية الدعاء، فالموقف خاص جدًا ولا يحتاج إلى اجتهاد في استنباط خصوصيته، فالدعاء ليس عامًا، والسبب التخصيص الموجود بنص الحديث، كما دلل الحديث بأن المسلم إذا بدأ عملًا أكمله بتوابعه، ولا يترك منه ما يمكن أن يكون منه ضرر، وخاصة فيما يتعلق بأمر الدين والجهاد، كما فعل النبي ﷺمع أوطاس.

كما بيَّن الحديث زهد النبي ﷺ في الدنيا، رغم ما أعطاه الله من الغنائم والأموال، وفيه فضيلة ظاهرة ومنقبة جليلة أبي موسى الأشعري وعمه أبي عامر –رضي الله عنهما–.

المبحث الرابع: من بلاغة الدعاء الخاص لقبيلة معينة.

الحديث الأول

نص الحديث: حدثنا يحيى بن يحيى: أخبرنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، قال: قدم الطفيل وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله إن دوسًا قد كفرت وأبت، فادعِ الله عليها. فقيل: هلكت دوس، فقال: (اللهم اهد دوسًا وائت بهم).(١)

في سياق هذا الحديث نرى رحمة النبي ﷺحتى بمن رجع عن دينه. فقال أبو هريرة -رضي الله عنه-:"قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺفقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: (اللهم اهد دوسًا وائت بهم)".(٢)

وإذا أمعنّا التفكُّر في بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا: إن الأمر في الفعل معتل الآخر يستلزم حذف حرف العلة مع التعويض عنه بحركة من جنسه، وهذا ما كان في دعاء النبي ﷺ(اهدِ، ائتِ)، فتم التعويض عن حروف العلة بما يناسب اليائين المحذوفتين؛ لينبه المتلقي على سرعة الاستجابة من الله عز وجل للنبي ﷺ.

ثانيا:حسن تقسيم، حيث قال النبي ﷺ(اهدِ دوسًا، وائتِ بهم). والجملة الثانية (ائتِ بهم)، فيها إضمار، من قبيل دلالة الاسم الأول (دوس) على نفسه، فلم يلزم ذكره مرة أخرى، فاستعيض عنه بالضمير؛ليدلل على شدة الموقف الذى هم فيه.

ثالثا: يرى بلاغة الحوار بين النبي ﷺوالصحابة في شأن دوس، وما فيه من شد انتباه

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٦٦١١.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، حديث (٢٧٧٩).

السامع للمعنى المقصود، كما فيه من التأدب ومراعاة الحال، ومن هنا" فتكمن أهمية أسلوب الحوار فى ميل النّفس إليه وإضفائه الحيوية على النَّص الأدبى الجميل، ودفعه للملل والشرود، وشدِّه انتباه السامعين، ويجعل الإقبال على متابعة النَّص أشد والذهن أكثر تفتحا وتجاوبًا"[1]،

رابعا: شبه كمال الاتصال الذي جاء لمعنى أثارته الجملة الأولى فقولهم: إن دوسا عصت وأبت"، فتولد منها جواب النبي ﷺ- بالدعاء بقوله:" اللهم اهد دوسًا وائت بهم"، فكانت هذه الغرابة في فعلهم تهمس إلى النفس بتساؤلٍ فنزلت الجملة الثانية لتجيب عنه، لذا"فإن المعانى في شبه كمال الاتصال تتواصل من طريق أن الأولى تتولد منها الثانية وكأنها أصل ينبثق منه فرع "[2] ،مما يوضح المعنى ويجلى الفكرة.

خامسا:ترى خصوصية الدعاء في الحديث هنا أن النبي ﷺ قد دعا خاصة لدوس، ولم يطلق الدعوة عامة، وعندها وجدنا مناسبة الحديث واضحة للقول بخصوصية الدعاء من النبي ﷺ، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لدعا النبي ﷺلكل القبائل والأمصار من ضمن القبائل، ولكن النبي خص دوسًا بالدعاء؛ عنايةً، ومن ثم لا يمنع أن النبي ﷺيدعوا على وجه العموم والخصوص، ولكنه في ذلك المقام دعا على وجه الخصوص لدوس.

كل هذا كان داعما لمناط القول بخصوصية الدعاء ، فكان دليلًا على الإتيان باسم دوس في الدعاء، وترجع هنا مناسبة الحديث كما قال ابن إسحاق: "... وكان طفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ- بها، ومشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلًا شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، فهذا الذي

(١) محمد لطفي الصباغ ينظر: الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبهالمكتب الإسلامي، بيروت – دمشق – عمان، ط٨: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م. ، صـ٩٩،

(٢) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، صـ٣٠٥.

بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحرة، يفرق بين المرء وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وزوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا؛ فرقًا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله – ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلامًا حسنًا، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺإلى بيته، فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا. قال: فوالله ما برحوا بي يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولًا حسنًا، فاعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله –ﷺالإسلام وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولًا قط أحسن منه ولا أمرًا أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مُطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آيةً تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه. قال: فقال: (اللهم اجعل له آية). قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر، وقع بين عيني نور مثل المصباح. قال: فقلت: اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلةً وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحول فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أنهبط عليهم من الثنية، حتى جئتهم فأصبحت فيهم. فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخًا كبيرًا، فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني. قال: ولم يا بني؟ قال: قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ. قال: إي بني فدينك ديني. فقلت: فاذهب فاغتسل

وطهر ثيابك، ثم ائتني حتى أعلمك مما علمت. قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم. قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليكِ عني، فلست منكِ ولست مني. قالت: ولم؟ بأبي أنت وأمي. قال: قلت: فرق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد ﷺقالت: فديني دينك. قال: فقلت فاذهبي إلى حمى ذي الشرى فتطهري منه. وكان ذو الشرى صنمًا لدوس، وكان الحمى حمًى حموه له، به وشل من ماء يهبط من جبل. قالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئًا؟ قلت: لا، أنا ضامن لذلك. قال: فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت. ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام فأبطئوا عليّ، ثم جئت رسول الله ﷺ- بمكة. فقلت: يا رسول الله، إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم. قال: (اللهم اهد دوسًا، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم). قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، فلحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين".[1]

١) ابن هشام، السيرة النبوية، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٣، ص ٣٨٢.

الفصل الثاني

من بلاغة دعاء النبي ﷺ على وجه العموم.

ويشتمل على أربعة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: من بلاغة الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ لجميع المسلمين.

المبحث الثاني: من بلاغة تعليم النبي ﷺ بعض الأدعية لأصحابه، وللأمة من بعدهم.

المبحث الثالث: من بلاغة دعاء النبي ﷺ لنفسه مع عامة المسلمين.

المبحث الرابع: من بلاغة بعض الأحاديث التي وردت في الدعاء على أشخاص أو أقوام بعينهم من النبي ﷺ.

الفصل الثاني

من بلاغة دعاء النبي ﷺ على وجه العموم

المبحث الأول: من بلاغة الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ لجميع المسلمين.

الحديث الأول

نص الحديث: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير: حدثنا أبي: حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ (اللهم إنما أنا بشر، فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة).(١)

يتبين من سياق الحديث أن النبي ﷺ كان يجلس للحكم بين الناس، وكان يتقاضى إليه الناس. "ولما بينت الشريعة الإسلامية حرمة السب واللعن والدعاء على المسلمين، ولما كان بعض ذلك قد وقع من النبي ﷺ، وجه ﷺ هذا الذي وقع منه بأنه من خصائصه وأن ربه سبحانه وتعالى جعل هذا الذي يقع منه في حق من لا يستحق رحمة ومغفرة وطهارة وأجرًا".(٢)

"وفي الحديث دليل أن الغضب يعتري بني آدم كلهم، حتى قال سيد ولد آدم: (اللهم إنما أنا بشر). واعتراء الغضب في النبي ﷺلا يقدح في رسالته كما يزعم البعض".(٣)

"والمعنى: أن ما وقع من سبه ودعائه ﷺعلى أحد ونحوه، ليس بمقصود، بل هو مما جرت به العادة، فخاف ﷺأن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورًا وأجرًا".(٤)

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٦٧٨١.

(٢) موسى شاهين لاشين، فتح المنعم بشرح صحيح مسلم، ط:١،دار صادر، بيروت، لبنان، ج ٩، ص ٢٥.

(٣) فتح المنعم، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٤) السيوطي، الديباج على صحيح مسلم،دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، ٢٠٠٦هـ ، لبنان، ج ٥، ص ١٠١.

إذا أمعنّا التفكُّر في بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا: أسلوب القصر الذي جاء بجملة الدعاء على لسان النبي ﷺ(إنما أنا بشر...)، يحمل أمرين: أولا منهما: دلالته على قصر الأنا المحمدية على البشرية المجردة، والقصر هنا يكمن فيه أنه:"رغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام عند المخاطب وتقريره في النفس"(١)، فلا شبهة لكون النبي ﷺملكًا رسولًا، ولا انفكاك عن كون النبي ﷺ رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، والآخر: يتراءى من وراء هذا التأكيد البُعد النفسي الذي يحاول النبي –ﷺإيصاله إلى السامع فهو ضرب من النظم العالى لديه ﷺ وهو" قائم على الإيحاء للمتلقي بأن الحكم قد تجسد في المحكوم له، وكأنه ماثل أمام عينه ينظر إليه، وهذا أدعى لتوكيد الحكم وتقريره في نفس المتلقي"(٢)، وتلك من عظيم بلاغته ﷺ في إيصال المعنى وتوضحيه في ذهن المتلقي.

ثانيا:قصد القصر بـ"إنما" دون الاستثناء مثلا ،" فجاء بـ "إنما" التي تفرع من أُنْسها وقُبولها ما يجعله كأنه من تلك المعانى المأنوسة التي عهدناها لائطة بها"(٣)، لكونها أسلوبا فريدا مأنوسا يوحي بالتذلل والانكسار بين يدي الله تعالى، فجاء القصر "لتأكيد هذا المعنى وزيادة تعيينه"(٤)، وهذا ضرب من تأكيد المعنى وتقريره.

---

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. صـ١٣٠

(٢) د/ مجيد عبدالحميد ناجي الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. ، صـ١٢٢

(٣) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، صـ١٦٢

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود "عند تفسيره لآية سورة البقرة (٢٦): قال تعالى: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ} أي بالمثل أو بضربه {إِلاَّ الفاسقين} عطف على ما قبله وتكلمة للجواب والردِّ وزيادةُ تعيينٍ لمن أريد إضلالُهم ببيان صفاتهم القبيحةِ المستتبعةِ له وإشارةٌ إلى أن ذلك ليس إضلالًا ابتدائيًا بل هو تثبيتٌ على ما كانُوا عليهِ من فنون الضلال وزيادة فيه" تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، ٧٥/١، دار إحياء التراث العربي – بيروت،د.ط.

ثالثا: من مزاحمة الأسرار البلاغية نرى الوصل بالفاء وقوله ﷺ (فأيما...)، فكان الاعتماد على "الفاء" في الربط بين جمل صورته؛ ليرتب المعانى بعضها على بعض وكأنها تدور في فلك واحد، فيه دليل على شمولية التالي لها، يعني: أي رجل، فالترتيب أفاد أن"" الحدثان يتصل رأس ثانيهما بعقب سابقه"(١)، وهذا ضرب من تقرير المعنى وتوضيحه في بلاغتهﷺ.

يتبين لنا في عموم الحديث: أن الأمر في الجملة إنما هو من قبيل الدعاء والابتهال إلى الله تعالى، وليس أمرًا من عالٍ في الرتبة إلى دانٍ، وإنما هو دعاء وإن خرج مخرج الأمر، مع القرينة الحالية في الجملة والقرينة اللفظية، فالحال في الجملة حال ابتهال ورجاء من الله تعالى، واللفظ يشي بلا منازع إلى الدعاء بقوله ﷺ (اللهم...).

رابعا:حسن التقسيم في الجملة الدعائية واضح، في قول النبي ﷺ (جلدته أو سببته أو لعنته)، واستخدام (أو) تفيد التقسيم، وهو من ضمن معانيها، واستخدام (أو) لا يعني أن الدعاء لا يفيد منه إلا من اجتمع عليه الجلد والسب واللعن، بل يفيد أن أي واحدة من هذه السلوكيات وقعت على مؤمن، فهو مخصوص بالدعاء، وإن لم يكن قد اجتمعت فيه تلك السلوكيات جميعًا.

خامسا:كما لا يخفى التعجيل بالضمير بقوله: (له)، ليُفيد أسبقية رجاء النبي ﷺلصاحب الدعاء، فلم يقل النبيﷺ(فاجعلها زكاة ورحمة له). وإنما قال: (فاجعلها له)، ، والقصد هنا من الضمير في قوله:" له" لتفخيم وتعظيم مكانته عنده، ويدلك مجيئه على التعريف إلى ذيوع معرفته بالاسبقية، فصاحب الدعاء مشهور ومعلوم بتلك المكانة والمحبة دون غيره، ولذا آثر التعريف بالضمير دون غيره من طرق التعريف.

وهنا مما لا يدع مجالا للشك دليل على تسبيق النبي ﷺفي رجاء وصول الدعاء إلى مستحقه من المؤمنين، فعجل بذكر أداة الملكية، وهي اللام، مع اقترانها بالضمير

(١) دلالات التراكيب، صـ٣٣٩.

العائد على المدعو له وهو المؤمن المخصوص بالأوصاف السابقة، فناسب ذكر اللام لزيادة التأكيد والإفاضة في الحديث، كما فيها تصوير للحال التي عليها الدعاء وإتمام للوصف"(جلدته أو سببته أو لعنته)، وليس هذا فحسب؛ بل "كلما زاد وتبسط في الوصف؛ زاد في التأكيد لأنه هو المناسب لمقام التبسيط والإفاضة"[١].

نرى عمومية الدعاء في الحديث: فالنبي -ﷺ- عمم باللفظ فيه، فقال: (أيما رجل من المسلمين). يعني: أي رجل أو امرأة. وإطلاق الرجل ليس إلا من باب التغليب فقط، وإلا فإن للنساء حظوظًا من الخير مثل الرجال تمامًا.

ولذا جاء التعبير بلفظ: (أيما)؛ فهو في حد ذاته دليل على العموم المطلق، من حيث الإسلام والكفر أو القرب والبعد أو الرفعة والبساطة... في أي حين وأي مجال. وهذا من عظيم رحمة النبي ﷺومن هذا نرى أن عمومية الحديث مطلقة، فلم يخص النبي اسمًا أو شخصًا أو جماعة أو قبيلة، وإنما أطلق الدعاء لعامة المسلمين.

الحديث الثاني

نص الحديث: حدثني هارون بن سعيد الأيلي: حدثنا ابن وهب: حدثني حرملة عن عبد الرحمن بن شماسة، قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر. فقالت كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئًا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة. فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به).[٢]

---

(١) فاضل صالح السامرائي ،التعبير القرآني دراسة بيانية فى الأسلوب القرآني ، ط٤: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. صـ١٢٦.

(٢) صحيح مسلم، حديث ٤٨٢٦.

ويتبين من سياق الحديث أن الواجب على ولي الأمر أن يتَّقي الله في رعيته، وأن يجتهد لما فيه صلاحها، وأن يرفق بها، ويرحم ضعيفها، ويُلزمها بالحق، هذا هو الواجب على كلِّ راعٍ، حتى الرجل في أهل بيته، وحتى صاحب الشركة في شركته، وغيرهم، فكل مَن ولي أمرًا عليه أن يرفق، وعليه أن يتحرى الحقَّ في رعيته، ولا يتساهل، بل يتَّقي الله في ذلك، ويحرص على أداء الواجب.

وإذا ما تفكّرنا في بلاغة الحديث من حيث المباني والمعاني نرى أسرارًا بلاغية منها:

أولا: أسلوب الشرط في الحديث يدل على عدم عقاب أو جزاء الفاعل إلا بتحقق الفعل، وناسب السياق أسلوب الشرط كما أن فيه معنى التفصيل؛ ليفرع عليه مناط الخروج إلى الحق بمراعاة الناس في حقوقهم، وكما أن التعبير بجملة الشرط في الكلام" "يعطيه فضل توكيد"[1]،ونرى تقييد المعنى بالتنكير في قوله:"أمر" للتعميم والشمول في كافة أمور الرعية في الدولة الإسلامية، وجمال الإضافة تراها تتعاظم مع قوله:"أمتي" ليدلل على أنه ﷺمنا ونحن منه يتحمل عنا تبعات الخطأ والنسيان.

ثانيا:ونرى في قوله ﷺ (من ولي، فشق، فاشقق) و(من ولي، فرفق، فارفق)، تناغم بين الكلمات في معنها ومبناها، ففى لفظة (فاشقق)، هو زيادة المبنى، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. وهذا يدل على عظم المشقة التي دعا بها النبي ﷺعلى من يشقق على الرعية، كما أنها واقعة جوابا للشرط للدلالة على تعلق الجزاء بالشرط، فـ" أكثر ما يكون من دلالة أول على تالٍ ما بدئ بالشرط، إذ جملة الشرط كالعلة في حصول الجواب وترتيب الجزاء فضلا عن إفهامه عموم الحكم وشموله لجميع ما صدق

(١) أبو القاسم الزمخشري ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١١٧/١،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ/١١٧/١.

عليه اسم الشرط"[١]، وكل هذا يعضد من المعنى ويقويه.

ثالثا: مجيء"الجناس الاشتقاقي"[٢]،في قوله:"فشق، فاشقق، فرفق،فارفق"، فيه تأكيد على إعداده لكافة الوسائل لدفع الأخطار التي تحيط بأمته من عدم وفاة الراعى برعيته، وفيه جرس موسيقي يلفت الأنظار إلى نفاذ بصيرة ﷺفي التعامل مع تلك الأخطار المحدقة بأمته.

رابعا:ترى الالتفات ووقوعه بين ثنايا الجمل ؛إيقاظا للنفس وتحريكا لهمتها، فالالتفات في الأسلوب" كأنه ضربة على أوتار النفس يزيدها تنبها وايقاظا أو هزا وتحريكا"[٣]، وكل هذا يتناغم من تكرار الحروف والكلمات داخل السياق الواحد، فالتكرار هنا" يُوظف حين يحمى الموقف ويتوتر المقام، وتتداخل المشاعر المثارة ويتحد الأسلوب ويتوهج الانفعال، وينتشر ويترقى الحديث صاعدا عالى النبرة، جهير النغمة، لذلك يتكرر التعبير ليتوزع فيه الانفعال"[٤]، وهذا من بلاغته وجودة نظمه ﷺ

خامسا:نرى الأصوات المنبعثة من الكلمات والجمل في قولهﷺمن ولي، فشق، فاشقق) و(من ولي، فرفق، فارفق)، فالصوت له أبعاد جمالية ودلالية تراه منبعثة من الحالة النفسية المحملة بالأمور لتصل إلى السامع لقصد إعلامه بما يجب عليه" فالجهر بالصوت والتطريب به والإنصات لذلك أوقع في النفس وأحضر للقلب، وأدعى لأن تكون الأمور مقبولة، ومن ثم كان النطق بالكلمات ذى أهمية كبيرة في تصوير المعانى

---

(١) كمال عز الدين السيد ،الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية،،ط:١ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، دار إقرأ للطباعة والنشر ، صـ٤١٠.

(٢) "هو:ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى"، فن الجناس، تأليف:على الجندي /الناشر دار الفكر العربي،بدون طبعة،عام النشر١٩٥٤م،صـ١١٤.

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى،صـ٤٤٣.

(٤) د/ صباح عبيد دراز ،أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، مطبعة الأمانة، ط١: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. ، صـ١١٣،

المختلفة، لقدرتها على نقل ما يختلج به النفس محسوسا ملموسا، كما تضفى عليها عنصرا منعناصر الحياة المتفاعلة بين المرسل والمستقبل"[١].

سادسا:عند إطالة النظر نرى أن النبي ﷺقد عمم باللفظ، فقال: (من ولي من أمتي). يعني: أي رجل أو امرأة. ولم يطلق النبي ﷺ وصفًا، فتنبرى عمومية الحديث فهي مطلقة، فلم يخص النبي اسمًا أو شخصًا أو جماعة أو قبيلة، وإنما أطلق الدعاء لعامة المسلمين، ومن جميل بلاغة النبي ﷺاستخدام لفظ (من) الموصولة، للدلالة على العاقل المكلف، ولم يخصص رجلًا بعينه أو امرأة بعينها.

بالتأمل نرى عمومية الدعاء في الحديث: أن كثيرًا من الأحاديث التى جاءت في تولى الراعى رعيته أن يكون رحيما بها عطوفا على ضعيفها حتى يأخذ حقه ، وهذا ما أوضحه الرسول ﷺ-في حديثه الذي نحن بصدده الآن.

الحديث الثالث

نص الحديث: حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي: حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد، قال: جاءنا رسول الله ﷺونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ-: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار).[٢]

رواية أخرى للحديث: وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار -واللفظ لابن المثنى-: حدثنا محمد بن جعفر: حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺأنه قال: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة).[٣]

---

(١) مدحت حسيني حسينى ليمون ،البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية، ، الناشر مجلة ايتادى البارود جامعةالأزهر، صـ١٧٢٣.

(٢) صحيح مسلم، حديث ٤٧٧٣.

(٣) المصدر السابق، حديث ٤٧٧٤.

رواية أخرى للحديث: حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار، قال ابن المثنى: حدثنا محمد بن جعفر: أخبرنا شعبة عن قتادة: حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ- كان يقول: (اللهم إن العيش عيش الآخرة). قال شعبة: أو قال: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة).(١)

رواية أخرى للحديث: حدثني محمد بن حاتم: حدثنا بهز: حدثنا حماد بن سلمة: حدثنا ثابت عن أنس أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يقولون يوم الخندق: نحن الذين بايعوا محمدا، على الإسلام ما بقينا أبدا.

أو قال: على الجهاد. شك حماد والنبي ﷺ- يقول: (اللهم إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة).(٢)

وفي سياق هذا الحديث دعاء من النبي ﷺ- للمؤمنين جميعًا من المؤمنين والأنصار، وهو في غزوة الخندق، حيتما كان المؤمنون يحفرون حول المدينة خندقًا حتى يعيقوا حركة المشركين القادمين إلى المدينة.

في الحديث ومعانيه ومبانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا: نرى البديع في النص الدعائي، السجع في قوله ﷺ-: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة). بالتسكين بين الشطرتين، وتأتى رواية (فأكرم الأنصار والمهاجرة) .

ثانيا:تأمل بلاغة القصر وطريقة نظمه المغايرة لما مر، فهنا آتى بطريق القصر"النفى والاستثناء"دون إنما"مثلا، فأسلوب القصر هنا لتقرير المعنى فى ذهن المتلقي؛ "وليؤكد هذه الحقيقة عند المخاطبين...، فأكدها وصاغها في هذه الأداة ذات النبرة الحادة"(٣)،

---

(١) السابق، حديث ٤٧٧٥.

(٢) السابق، حديث ٤٧٧٦.

(٣) ينظر:دلالات التراكيب، صـ١١٤/صـ١١٥.

هذا من ناحية؛ ولتقرير تلك الحقيقة جيء بالنفي والاستثناء، كما أن هذا الطريق "يشير دائما إلى نبض أعلى وانفعال بالحقيقة أقوى"(١)، وهذا من ناحية أخرى، وأسلوب القصر يتناسب مع مقام الوعد بعظيم الآخرة الذي تعلو فيه النبرة؛ فهو يأتى فى المقامات التي يشتد فيها الخطاب " ولا تلقاك هذه الأداة إلا حيث تلقاك النبرة العالية، والنغمة الحاسمة، والتعبير الشديد"(٢)، والقصر من ضروب التوكيد، وفيه تكرير للجملة،"وَمَا الْقَصْرُ إِلَّا تَوْكِيدٌ مُضَاعَفٌ"(٣)، كما أنه لتثبيت هذه المعاني في نفوسهم، ومن هنا قالوا:فإن النفي والاستثناء طريق لتأدية المعاني الغريبة التي تحتاج إلى فضل تأكيد، وإلى زيادة تقرير، فهو يدفع الإنكار"(٤)، وهذا من ناحية أخرى.

ثانيا: يزاحم أسلوب القصر هنا أسلوب الأمر ومن قبله النداء بقوله:" فاغفر للأنصار والمهاجرة" فتلك المعانى الكبيرة التى تزاحمت كلها في فلك النداء ما هى إلا بلاغة عالية للنبي ﷺ فـ"النداء يصحبه ـ غالبا ـ الأمر والنهى والاستفهام، وكأنه يعد النفس ويهيؤها لتلقى تلك الأساليب، ولذا فهى تتقوى به، لأن النداء يوقظ الحس ويلفت الذهن وينبه المشاعر، فإذا جاء بعده الأمر أو النهى أو الاستفهام، صادف نفسًا مهيأة يقظة، فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحس واع وذهن متنبه"(٥)،وهذا ما يؤكد أن النبي ﷺ ليس بشاعر، ولا ينبغي له.

---

(١) المرجع السابق، صـ١١٥.

(٢) دلالات التراكيب صـ١٠٥.

(٣)/التحرير والتنوير١٥/٣٢٣.

(٤) الوصيف هلال الوصيف التصوير البياني في شعر المتنبي، ، مكتبة وهبة، ط١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ص٨٥.

(٥) /د٠بسيونى عبد الفتاح فيود/ علم المعانى دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعانى ج٢، الناشر مكتبة وهبة/ط:٤، ١٤٠٧هـ،/صـ١٥٤.

بعد الغوص في بلاغته ﷺيتبين لنا: عمومية الدعاء في الحديث أن النبي ﷺدعا لجمهور المهاجرين والأنصار، والإسلام ساعتها كان لا يحوي سوى هذين العنصرين من المسلمين؛ عنصر المهاجرين القادمين إلى المدينة من خارجها، وعنصر الأنصار الذين رحبوا بالنبي ﷺ في المدينة.

ومن الجهة الشمولية: فالدعاء شامل شمولية كلية لجمهور المسلمين ساعاتها، حيث لم يكن الإسلام قد توسع خارج نطاق المدينة المنورة، اللهم إلا عدد يسير غيرهم في الأمصار البعيدة والمتناثرة، ومن هنا رأيت أن الدعاء يحمل على العام وليس الخاص.

المبحث الثانى: من بلاغة تعليم النبي ﷺ بعض الأدعية لأصحابه، وللأمة من بعدهم.

الحديث الأول

نص الحديث: حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم -واللفظ لعثمان-، قال إسحاق: أخبرنا، وقال عثمان: حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة: حدثني البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: (إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. واجعلهن من آخر كلامك، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة). قال فرددتهن لأستذكرهن، فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت. قال: (قل: آمنت بنبيك الذي أرسلت) (١)

وفي سياق هذا الحديث يرغب النبي ﷺ- أمته في الوضوء قبل النوم والدعاء، فيقول ﷺللبراء بن عازب: "إذا أتيت مضجعك. أي: إذا أردت أن تذهب إلى فراش نومك، فتوضأ وضوءك للصلاة. أي: فتوضأ قبل أن تذهب إلى الفراش وضوءًا كاملًا، كما لو كنت تتوضأ للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، لأنه أدعى إلى النشاط والاكتفاء بالقليل من النوم، وأعون على الاستيقاظ في آخر الليل، وأنفع للقلب. ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك. أي: أسلمت روحي عند نومي، وأودعتها أمانةً لديك، وفوضت أمري إليك. أي: توكلت في جميع أموري عليك، راجيًا أن تكفيني كل شيء، وتحميني من كل سوء، وألجأت ظهري إليك. أي: وتحصنت بجوارك، ولجأت إلى حفظك، فاحرسني بعينك التي لا تنام، رغبةً ورهبةً إليك. أي: وإنما فعلت ذلك كله رغبة. أي: طمعًا في رحمتك. ورهبة. أي: خوفًا منك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. أي:

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٧٠٥٧.

فإنه لا مفر منك إلا إليك، ولا ملاذ من عقوبتك إلا بالالتجاء إلى عفوك ومغفرتك يا أرحم الراحمين، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وهو القرآن الكريم، ونبيك الذي أرسلت، وهو محمد ﷺ ثم قال ﷺ: فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة. أي: فإن مت في تلك الليلة التي نمت فيها، فإنك تموت على دين الإسلام، وسنة خير الأنام".(١)

وإذا أمعنّا التفكُّر في بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا: لفظي (رغبة، ورهبة...) في حديث النبي ﷺهما مفعولان لأجله، والمفعول لأجله يأتي في الجمل لبيان جدواها،ثم جاء النفي التام "لا ملجأ" أي نجاة إلا الله تعالى: (لا ملجأ ولا منجى منك). وذلك معنى يفيد صيرورة الأمور كلها إلى الله تعالى، فلا مناص من لامحدودية قدرته سبحانه.

ثانيا:جاء التفصيل التوكيدي بالتقييد في الكلام: (إلا إليك). وهو أسلوب بليغ من أساليب القصر. والمعنى أن لا مهرب من الله، وإن استطاع أحد الهرب، فالهرب أيضًا لا يكون إلا لله، ومن ثم فإحاطته عامة شاملة مستوعبة جميع المخلوقات، كما جاء التعبير بالماضي في جملة الدعاء دليلًا على رسوخ العملية الإيمانية وعدم الشك بها أو التذبذب فيها، وسير النكتة البلاغية على الجملة الفعلية بفعلها الماضى لأنها " تسهم في تطوير الحدث، وسرد الأحداث المتعاقبة بشكل سريع ومتتابع"(٢)، مما يؤكد دلالة المعنى ويقويه لدى المتلقي.

ثالثا: حسن التقسيم بين التراكيب المتتالية، وذلك واضح من قول النبي ﷺ : (أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا

(١) فتح المنعم، مرجع سابق، بتصرف، ص ٣٨٨ : ٣٩٠.

(٢) د. بدور عبد المقصود أبو جنينه، بناء الجملة الفعلية في القصة القصيرة جدا عند منير عتيبة دراسة نحوية دلالية، مجلة الجزائر ع٣صـ ٥٥٨.

منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت). فحسن التقسيم واضح جلي بين التراكيب في الجمل؛ ليوقظ الحس ويلهب العقل في التدبر في أن كل شئ سائر إلى الله وحده، هذا من ناحية، ونرى تكرار "إليك" وفيه تأكيد على تقرير تلك الصفات في الموصوف، وليتأكد فى نفس السامع، لأن "الْكَلَامُ إِذَا تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ"(١)، ثم أنهم" استعملوا التكرار؛ ليتوكّد القول للسامع"(٢)، وتلك بلاغته ﷺ فيها من الحسن والملاحة ما لا يخفى، وهذا من ناحية أخرى.

رابعا:نرى الجناس في قوله" مضجعك، اضطجع"؛ فيه جرس موسيقى ينبه إلى المعنى في وجازة كبيرة، فكلاهما راحة للجسم في آخر يومها تلقى ظلال همومها لله عز وجل وتوكل إليه أمرها ففيه من الراحة ما لا يخفى، ونرى جمال السجع في نهايات الجمل: (إليك، إليك، إليك، أنزلت، أرسلت)،ودلالته البلاغية" والسجع بما فيه من "جرس موسيقى"(٣)، يسحر ويختل السامعين، وإلا ما استخدمه الكهان في سجعهم.

خامسا:التعبير بالماضي (أسلمت، وجهت، آمنت)، مع التوكيد بأداة بأداته (إنِّ)، يفيد تحقق المراد من التركيب، واستقرار القلب على الإيمان به، وعدم التردد، ، فجىء بالتأكيد من خلال أداته" إنِّ"؛ رغبة منه في تأكيد المعنى المسيطر على نفسه؛ فهي

(١) أبو عبد الله بدر الدين الزركشي ،البرهان في علوم القرآن، جـ٣/صـ١٠/المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم/الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م/ لناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

(٢) كتاب الصناعتين، صـ ١٩٣.

(٣) فالجرس الموسيقي وسيلة للتعبير عن عواطف متأججة ومشاعر مختلجة، كأنها رنات أوتار القلب يعزفون عليها بتناسق جميل فيقدم لنا أنغاما توافق حالته النفسية، الإيقاع المعنوى في الصورة الشعرية "محمود درويش نموذجا"،إعداد/ داحو آسية/ مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإيقاعية البلاغية، وزارة التعليم العالى والبحث العلمي جامعة حسيبة بن بو على الشلف/السنة الجامعية ٢٠٠٨م/٢٠٠٩م،صـ٩٨.

"لتوكيد نسبة الخبر للمبتدأ وتقريرها في ذهن السامع"(١)، وهذامن ناحيته الجمالية

سادسا:كما لا يخفى ربط الجمل فيما بينها ولذا اعتمد على "الفاء" في الربط بين جمل صورته؛ ليرتب المعانى بعضها على بعض وكأنها تدور في فلك واحد،كما جاءت "الواو" للتوسط بين الكمالين لوجود الجهة الجامعة بينهما فهي أفعال ماضية مسندة إلى مسند إليه واحد، وفي الوصل دلالة على تواصل تلك الأفعال من المؤمن إلى الله عزوجل.

سابعا:ترى في البلاغة العالية لرسولﷺ تجد جمال التكرار بأداة النفي (لا) تفيد عدمية الشك، أو اختلاج الريبة لما ينفى بها، فهي أبلغ من التعبير بأدوات النفي الأخرى، يجد أنها تتممة لصورة المعنى في أسلوب القصر، فالنفى هنا بـ"لا" ؛ فهي "تدل على نفى الحكم عن جنس اسمها نصًّا"(٢)، وحذف الضمير من (أنزلت، أرسلت)، للدلالة عليه سابقًا، ولعلم المتكلم بقدرته تعالى على إنزال الخير وإبعاد الضر والشر فالله المعين على هذا.

بالتأمل الدقيق ترى أن عمومية الدعاء في الحديث: حيث إن النبي -ﷺ- كان يعلم بتبليغ صاحبته عنه، إذن فالدعاء ليس موجهًا إلى صحابي بعينه، وإنما هو بلاغ للأمة كلها في صورة المتلقي من النبي -ﷺ-.

عند النظر ترى الشمولية هنا : حيث إن المتلقي يمثل أمة من الناس تختلف أزمنتهم وأمكنتهم من الواجب عليهم التلقي من النبي -ﷺ-، وكذلك فإن النبي ﷺ لم يصدر منه تخصيص في التعليم، ولم يصدر من المتلقي للدعاء تخصيص أيضًا، وعليه تأتى الحديث والدعاء به شامل ولا محدودية لفضل الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ،

---

(١)، د: فاطمة حسين السيد حسين ،أساليب التوكيد في أدب الرافعي دراسة نحوية دلالية ، بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير، جامعة القاهرة كلية العلوم قسم النحو والصرف والعروض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. صـ٣٦.

(٢) النحو الوافي،١/٦٨٦.

فالخير شامل عام ببركة النبي ﷺ. ولو أريد التخصيص لحصل.

الحديث الثاني

نص الحديث: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا ابن إدريس قال: سمعت عاصم بن كليب عن أبي بردة عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: (قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم).[1]

في سياق الحديث "قوله ﷺ: (قل اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم)، أما السداد هنا بفتح السين: وسداد السهم، يعني: تقويمه. ومعنى سددني: وفقني واجعلني منتصبًا في جميع أموري مستقيمًا، وأصل السداد: الاستقامة والقصد في الأمور. وأما الهدى هنا، فهو: الرشاد[2]، ولذا جاءت الهداية هنا بمعنى الرشاد في الأمر، والسداد هو الاستقامة والقصد في جميع الأمور"[3]، فالنبي –صلى الله عليه وآله وسلم– يأمر عليًا –رضي الله عنه– بأن يسأل الله عز وجل الهداية أولًا، ثم يسأله الاستقامة على هذه الهداية والسداد فيها، وأن يقومه كما يقوم صاحب السهم سهمه.

عند إمعان النظر نرى: أن المقصود بالهداية هنا، هي هداية الدلالة، فالله تعالى يهدي من يشاء بأن يدله على الصراط المستقيم، وتسمى دلالة الإرشاد. أما دلالة التوفيق، فهي الدلالة التي يدفع الله تعالى بها العبد إلى طريقه.

وإذا ما نظرنا إلى مباني الحديث ومعانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا:الايجاز بالحذف، في قوله ﷺ: (واذكر بالهدى هدايتك، والسداد سداد السهم)،

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٧٠٨٦.

(٢) الديباج، مرجع سابق.

(٣) النووي، شرح مسلم، ج ١٠، ص ٦٥.

فحذف الفعل الناصب مع حرف الجر المتعلق به، من قبيل الحذف، والتقدير: (واذكر بالسداد سداد السهم)، وتركيبًا (هدايتك الطريق، وسداد السهم)، متعلقان بجارين محذوفين، تقديرهما: (هدايتك للطريق، وسدادك للسهم). وإنما جاء التركيب هكذا لجواز حذف الجار لملحة بلاغية، وهي التعجيل بذكر المتبوع ومتعلق الجار، كقول الله تعالى: (ولا آمين البيت الحرام)، و(وادخلوا الباب سجدًا). والتقدير: وادخلوا من الباب سجدًا. وهو تعجيل بذكر ما بعد الجار من متعلق به.

وآخرا: كما لا يخفى إضافة الهدى إلى النفس هى والسداد؛ لأن المؤمن يتحمل تبعات نفسه وعمله وحده في كتابه فهذا تنبيه عظيم من رسول اللهﷺ لنا، وتتزاحم النكات البلاغية ففي قوله:"هدايتك الطريق" لمحة بيانية وهى "التشبيه" فقد شبه الوصول إلى درجة الايمان، بالطريق الذى يسير فيه الناس للوصول إلى غايتهم ووجه الشبه"بلوغ النهاية في كل"،"، فلا غرو أن الصورة التشبيهية هنا" لا تعرض الحدث عرضًا تاريخيًا بتفصيلاته، وإنَّما تصوره من خلال التركيز على نقطة فيه لإلقاء الأضواء عليها"[1]، وهذا من بلاغتهﷺ.

وبعد الغوص في بلاغتهﷺ نرى عمومية الدعاء في الحديث: أن النبي ﷺ كان يعلم بتبليغ صاحبته عنه، إذن فالدعاء ليس موجهًا إلى صحابي بعينه، وإنما هو بلاغ للأمة كلها في صورة المتلقي من النبي ﷺ، وكأن المتلقي يمثل أمة من الناس تختلف أزمنتهم وأمكنتهم من الواجب عليهم التلقي من النبي ﷺ،هذا من ناحية، نرى الشمولية: ونفهم إن النبي ﷺ لم يصدر منه تخصيص في التعليم، ولم يصدر من المتلقي للدعاء تخصيص أيضًا، وهذا من ناحية أخرى.

(١) عبدالسلام أحمد راغب وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ، قسم الدراسات والترجمة والنشر بحلب ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م،صـ٢٣٥.

الحديث الثالث

نص الحديث: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ: (هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه). قال: نعم ،كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: (سبحان الله، لا تطيقه –أو لا تستطيعه– أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار). قال: فدعا الله له فشفاه.(١)

في سياق هذا الحديث دعاء من النبي ﷺ، وهو في الأساس متخذ من قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ **فكان جزاؤهم من الله تعالى:** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ (٢)**، فهو دعاء يجمع بين خيري الدنيا والآخرة، حسنة الدنيا وحسنة الآخرة.**

من نعمة الله علينا في العموم: أن الحسنات المطلوبة في الدنيا، يدخل فيها كل ما يحسن وقوعه عند العبد من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة...، وحسنة الآخرة هي: السلامة من العقوبات في القبر والموقف والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، ومن هنا صار هذا الدعاء أجمع دعاء، وأولا بالإيثار، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به، ويحث عليه.

وإذا ما تفكّرنا في بلاغة الحديث من حيث المباني والمعاني نرى أسرارًا بلاغية منها:

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٧٠١١.

(٢) البقرة، آية ٢٠٢.

أولا: إن النكرة إذا وقعت في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام، دلت على العموم،لتعطى دلالة الشمول لكافة النعم ،كما ترى جمال الطباق في قوله" الآخرة، الدنيا" فالطباق يرسم صعوبة الموقف في عاقبة الدنيا عن الآخرة لدى المؤمن، فلا "من شأن المقابلة أو الطباق أن يظهر المعنى وأن ينبه الأذهان، ويحرك العقول، إذ يجمع بين المعانى المضادة، وبالوقوف عليها يزداد المعنى جمالا، ورسوخا في الأذهان، واستقرارا في العقول"(١)، كما لا يخفى جمال التضاد الذى عطفت مفرداته داخل نص واحد، فالتضاد" الذي عطفت مفرداته في جمل فعلية وعطفت بعضها على بعض في سجع واحد أضفى روعة ومهابة على الصورة"(٢)، ما يؤكد المعنى في ذهن السامع ويقويه.

ثانيا:ترى التكرار بين"الحسنة، وطلبها في الدنيا والآخرة" ليدلل على القيمة العظيمة لها وأنها المعين الوحيد لاستقامة حياة الإنسان وليس هذا فحسب؛ بل" إن التكرار من أساليب التأثير في قلب المتلقي وعقله، وهو السبيل إلى تقوية المعنى في نفسه"(٣)، مما يعمق المعنى ويؤكده.

ثالثا: كما ترى بلاغة العدول عن الواو في العطف هنا إلى "الفاء" في قوله: "فدعا الله له فشفاه" الدالة على الترتيب والتعقيب؛وكأنهﷺ استجاب له عقب خروج لفظ الدعاء.

---

(١) أ.د بسيوني عبد الفتاح فيود /بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ،ط:١ /١٤٣١هـ/٢٠١٠م/ الناشر مؤسسة المختار للطباعة والنشر ـ القاهرة. ، /صـ ١٣٢.

(٢) رضاته حسين صالح/ ينظر:الطباق والمقابلة في خطب الإمام علي" عليه السلام" في نهج البلاغة دراسة بلاغية ـ دلالية، / المديرة العامة لتربية ميسانالناشر/ مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية /المجلد التاسع/العدد السابع عشر من كانون الأول ٢٠١٠م. / صـ ١٥.

(٣) أساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني شعر الإمام الشافعي أنموذجا، المجلد٩، ع٤، صـ٥.

أما العموم هنا: فجاء في أن الدعاء من جوامع الكلم، فالنبي دعا بالخير في الدنيا والآخرة، والوقاية من عذاب النار، وجمال التنكير العموم في الدعاء، وهو من البلاغة في شأن عظيم، ومعنى وقنا، من الوقاية،وهي تحمل معنى الحماية والحفظ، وكأنهﷺ جعل وقاية الله لنا حفظا نعيش في كنفه وتحت رحمته،وترى جملة:(سبحان الله)، من الألفاظ السماعية للتعجب، وهو غير قياسي فلا يطرد.

إذن فالدعاء على جهة الشمولية: فهو ليس موجهًا إلى صحابي بعينه، وإنما هو بلاغ للأمة كلها في صورة الملتقي من النبي ﷺ، وكأن المتلقي يمثل أمة من الناس تختلف أزمنتهم وأمكنتهم من الواجب عليهم التلقي من النبي ﷺ، وعند النظر نرى إن النبي ﷺ لم يصدر منه تخصيص في التعليم، وكذلك لم يصدر من المتلقي للدعاء تخصيص أيضًا... وفي كلتا الحالتين دليل الشمولية العامة في الحديث وهذا واضح جدًا.

والدعاء من القرآن الكريم أيضًا، ومن المستحب الدعاء بما جاء بالقرآن الكريم.

تأتى العمومية هنا من كمال رحمة النبي ﷺ بأمته، فقد شمل النبي ﷺ أمته بما يقيم حالها وينفع أبنائها ويحفظها من بين أيديها ومن خلفها،قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾: فهو ﷺ الرحمة الإلهية للخلائق.

الحديث الرابع

نص الحديث: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعا عن ابن علية: قال أبو بكر: حدثنا إسماعيل ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل: اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مستكره له).[1].

(١) صحيح مسلم، حديث ٦٩٨٧.

رواية أخرى للحديث: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر، قالوا: حدثنا إسماعيل -يعنون ابن جعفر- عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: (إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).(١)

رواية أخرى للحديث: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري: حدثنا أنس بن عياض: حدثنا الحارث -وهو ابن عبد الرحمن بن أبي ذباب- عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: (لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء، لا مكره له).(٢)

وفي سياق الحديث "يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ لأن الإنسان لا حول له ولا قوة له إلا بحول الله وقوته، أمر بتعليق كل تحركاته وكل أفعاله المستقبلة على إرادة الله ومشيئته أما في الدعاء وفي الطلب من الله، فيكره له أن يعلق هذا الطلب على المشيئة وإن كان فعلا موقوفًا إجابته على المشيئة لأن الطلب من الكريم الجواد لا يصح أن يعلق على شيء، إذ التعليق يتنافى مع الإيمان بالسخاء مع الأمل والرجاء والطمع في رحمة الله، وإن طالب الحاجة من الكريم الذي لا ينقص ملكه بالعطاء يجزم بالإجابة ويتأكد ويثق أن الله الكريم سيستجيب، فقد وعد متفضلًا بذلك إذ يقول في القرآن الكريم:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٣)، "وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحدًا الدعاء ما يعلم في نفسه -يعني من التقصير-، فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس، حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وقال الداودي: معنى قوله ليعزم المسألة، أن يجتهد ويلح ولا يقل: إن شئت،

(١) المصدر السابق، حديث ٦٩٨٨.

(٢) السابق، حديث ٦٩٨٩.

(٣) فتح المنعم، ص ٣٠٣.

كالمستثني. ولكن دعاء البائس الفقير. قال الحافظ ابن حجر: وكأنه أشار بقوله المستثني إلى أنه إذا قالها على سبيل التبرك لا يكره، وهو كلام جيد".[١]

وإذا أمعنّا التفكُّر في بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا: نرى في الرواية الأولى قوله: (إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل: اللهم إن شئت فأعطني)، وفي الرواية الثانية: (إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة)، وفي الرواية الثالثة: (لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم في الدعاء)، فكلها مبنية على الشرط وفعله وجوابه" بكيفية التعلق بالدعاء وإلقائه من النفس إلى خالقها، فالمؤمن عندما يقول" اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت" فكأنه يعلق الجزاء بفعل الشرط وحصوله وهذا ما لا يليق مع ذات الله عزوجل، وآثر الشرط في صورته؛ لأنَّ السياق بسط التأكيد باختلاف أدواته، فجاء الرد مِن نفس المعنى ليمتنع المؤمن من الاتيان به في دعائه، وهنا تكمن بلاغته للدلالة على تعلق الجزاء بالشرط، فـ" أكثر ما يكون من دلالة أول على تالٍ ما بدئ بالشرط، إذ جملة الشرط كالعلة في حصول الجواب وترتيب الجزاء فضلا عن إفهامه عموم الحكم وشموله لجميع ما صدق عليه اسم الشرط"[٢].

ثانيا: جملة قولهﷺ:"فليعزم في الدعاء"جواب للشرط وتتممة للعلةفي فعله؛ لأن الأمر بالعزم: الجد فيه وأن يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى. وهذا لا يتنافى مع كون العبد مأمورًا في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى. فتأكيد هذا العزم في الدعاء والشرط بجوابه مما لا يستحب الاتيان به.

ثالثا: جملة "إن شئت فأعطني"، فهذا التقديم والتأخير في بنية الجملة جعلها في ميزان

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٤.

(٢) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية، صـ٤١٠.

خاص بها وكأنه قيد المشيئة في الدعاء بالإعطاء من الله وهذا مما لا يليق بالمؤمن، فأصل الجملة"أعطنى إن شئت" وقيامها أيضا على الشرط وجوابه جعلها داخلة في حيز التأكيد بمثل هذا التقييد بالفعل،فيه صورة من صور الأطناب وهي " عطف العام على الخاص"(١)،عطف العام بالدعاء على الخاص بالمشيئة في حتمية الإجابة وحاشا المؤمن أن يفعل مثل هذا، بل العزم في الدعاء والاتنظار للإجابة.

رابعا: جملة قوله:(فإن الله لا مستكره له)، بضم الميم وكسر الراء، وفي الرواية الثالثة لا مكره له: وهما بمعنى: أن لا أحد يكرهه، فجملة التأكيد في بنيتها على بـ"إنّ، واسمية الجملة؛ تقريرا لخطورة الموقف في تقييد الدعاء، حيث إن التأكيد كما يقول الإمام العلوى:" تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده" (٢).

خامسا:كما أن مجيئه متبوعا بحرف النفى"لا"؛ ليؤكد خطرها المتفاقم عليه في اتيان ما لا يصح في الدعاء، فدخول النفي بلا تلحظ فيه "تأكيدًا على دوام النفى"(٣)، كما انبرى لفظ الجلالة"الله" بمعناه الصريح دلالة على حب الله لعبده وأن دعوته قابلة للإجابة وكيف لا؟ وهو القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (٤)،الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة من إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء، فيخفف الطالب الأمر

(١) فيأتي بذكر العام بعد الخاص" وفائدته شمول بقية الأفراد، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام، بعد ذكره أولا في عنوان خاص" جواهر البلاغة للهاشمي ٢٠٢/١.

(٢) يحيى بن حمزة الملقب بالمؤيد باللَّه ،الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز /الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، جـ٢/صـ٩٤.

(٣) مختصر المعاني للعلامة سعد الدين التفتازاني، ، ط١: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، مكتبة البشر، المجلد الأول، صـ٢٩٢.

(٤) آية البقرة١٨٦.

عليه ويعلمه بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، والله تعالى منزه عن ذلك، فليس للتعليق فائدة، كما يحتمل أن التعليق على المشيئة في حالة الطلب يوهم اعتقاد البخل، فإن البخيل هو الذي يتردد في الإعطاء والإجابة، يحتمل أن في التعليق على المشيئة إيهام بالاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه، وهذا أيضًا من الغلط في الدعاء.

سادسا:عبر النبي ﷺ بقوله (صانع ما شاء)، دليلًا على تأصل الفعل في الذات الإلهية، وهو تعبير باسم الفاعل، وهذا من خواص اسم الفاعل، وذلك؛ لأن" اسم الفاعل فى كثير من المواضع يدل على ثبوت المصدر فى الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضى لا يدل عليه"[(١)]، وجاء التعبير: (لا مكره له)، نفيًا لعدمية الإكراه على فعل ما يصدر عن الله تعالى، وفائدة التعبير بالنفي هنا الإطلاق والعموم.

سابعا: وقد عبر النبي ﷺ بلفظ العزم، دلالة على جدية الأمر، فالعزم يخالف الهم، والهم بالشيء ربما كان بالتفكير، أما العزم فهو بالفعل، والمقصود به هنا الدعاء، فكان اللمحة البيانية بتلك الاستعارة التى صورت العزم بشئ مملوس وجدى في الدعاء ؛ ليتبادر لذهن السامع مكانة اليقين بإجابة الله لعبده عند دعائه.

ثامنا: ترى الالتفات في التعبير بقوله صلى الله عليه وسلم-":(فإن الله لا مستكره له)،والانتقال من الخطاب إلى الغيبة؛ليتنبه السامع إلى المقصود ويرى قرارة تأكيده تملأ النفس به، فإنه:"يجد من نفسه إقبالا عليه وتخصيصا له بالخطاب بغاية الخضوع والاستعانة به في المهمات"[(٢)]،وتلك بلاغة الانتقال من أسلوب إلى آخر.

---

(١) أبوعبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣: ١٤٢٠هـ.، ٢٥ ، ٢٧.

(٢) أحمد بن مصطفى المراغي ،علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» بدون طبعة ودار نشر"صـ١٤٢.

إذن فالدعاء فيه الشمولية منه ﷺ : ليس موجهًا إلى صحابي بعينه، وإنما هو بلاغ للأمة كلها في صورة الملتقي من النبي ﷺ، وكذلك فإن النبي ﷺ لم يصدر منه تخصيص في التعليم، ولم يصدر من المتلقي للدعاء تخصيص أيضًا.

الحديث الخامس

نص الحديث: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا ليث وحدثنا محمد بن رمح: أخبرنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو عن أبي بكر أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كبيرًا –وقال قتيبة كثيرًا– ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم).(١)

رواية أخرى للحديث: حدثنا يحيى بن أيوب: حدثنا ابن علية، قال: وأخبرنا سليمان التيمي حدثنا أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن

والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات) .(٢)

رواية أخرى للحديث: وحدثنا أبو بكر بن نافع العبدي: حدثنا بهز بن أسد العمي: حدثنا هارون الأعور: حدثنا شعيب بن الحبحاب عن أنس، قال: كان النبي ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات: (اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات).(٣)

رواية أخرى للحديث: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله بن نمير –واللفظ لابن نمير–، قال إسحاق: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا أبو

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٧٠٤٤.

(٢) المصدر السابق، حديث ٧٠٤٨.

(٣) السابق، حديث ٧٠٥١.

معاوية عن عاصم عن عبد الله بن الحارث وعن أبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم، قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها).[١]

رواية أخرى للحديث: حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري: حدثنا أبي: حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير).[٢]

كما يتبين من سياق الحديث في عمومه :أن الظلم هو العدول عن السبيل المستقيم، ووضع الشيء في غير موضعه، فمعنى "العوذ، ومنه الاستعاذة، هو الملجأ. وعوّذه بالله، يعني: ألجأه لله وحصنه، وأعاذه بالله، يعني: حصنه، ومنه قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[٣] ،كما أن معنى:(العجز) هو عدم القدرة عليه، وقيل: هو ترك ما يجب فعله، والتسويف به وكلاهما تستحب الاستعاذة منه"[٤]، أما دلالته استعاذته ﷺ من الهرم، "فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل

(١) السابق، حديث ٧٠٨١.

(٢) السابق ، حديث ٨٠٧٦.

(٣) مجمع اللغة العربية، القاموس الوسيط: الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.، ص ٤٥٥.

(٤) النووي، شرح مسلم، ج ١١، ص ٨١.

العمر كما جاء في الرواية التي بعدها، وسبب ذلك ما فيه من الخرف، واختلال العقل والحواس والضبط والفهم، وتشويه بعض المناظر، والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها"[1]، ومن هنا فاستعاذ النبي ﷺ من كل ما يجب الاستعاذة منه، في الدنيا وفي الآخرة، فالعجز والكسل في الدنيا، وعذاب القبر من الأمور الأخروية.

وإذا تأملنا الاستعاذة في الدعاء خاصة: نرى أنها من جميل الملاذ بالله تعالى، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ودعوة النبي هنا لنفسه، فهو يستعيذ بالله تعالى من شر العجز والكسل...

وإذا ما تأملنا في مباني الحديث ومعانيه نرى أسراراً بلاغية منها:

أولا: ترى تزاحما للأسرار البلاغية منها: ووطدت الاستعاذة بالتوكيد في قول النبي ﷺ: (إني)، مع ياء المتكلم، دلالة على النسبة للنبي ﷺ،وكأنه يحمل تبعات ما في نفسه وحده دون غيره، كما اجتمع رافدان من روافد التأكيد في قوله"إنى، فاغفر": (الفاء، وإن) وهذا يتناسب مع خطورة الأمر فالأمر يتعلق برفع النفس عن مصاف الدنيا وما يدور حولها، فـ" الفاء إذا سبقت إن فإن الدلالة على التعليل تكون أقوى لالتقاء رافدين من روافد التعليل "الفاء، وإن" وكل منهما يمنح التعليل من دلالته الوضعية عنصرا دلاليا غير الذي يعطيه الآخر له ، فالفاء تعطي التعليل معنى التعقيب مثلما تشرب إن التعليل معنى التأكيد"[2]، مما يتناسب مع المعنى ويؤكده.

ثانيا:ترى لمحات بلاغية وهى التبسط والإطالة في أركان الدعاء" اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كبيرًا –وقال قتيبة كثيرًا– ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم "، لأنه:"كلما زاد وتبسط في الوصف؛ زاد في

(١) السابق، حديث ٧٠٨١.

(٢) دكتور محمود توفيق سعد ،سبل استنباط المعانى من القرآن والسنة، ، صـ٢١٤، مكتبة وهبة ط١: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

التأكيد لأنه هو المناسب لمقام التبسيط والإفاضة"[١]، وترى واو العطف هنا بين الأمور المستعاذ منها ب، وهو ما يقضي مجرد المشاركة، ولا تقتضي الواو الترتيب، وهو الرأي الراجح عند النحاة.

كما جيء بالتأكيد من خلال أداته" إنِّ"؛ رغبة منه في تأكيد المعنى المسيطر على نفسه؛ فهي "لتوكيد نسبة الخبر للمبتدأ وتقريرها في ذهن السامع"[٢]، في قوله: (اللهم إني أعوذ بك...)، أي: من قلب حريص على جمع المال بحجبه عن الناس وعدم إنفاقه، أو من الذي يفضي بصاحبه إلى كفران النعمة في المال ونسيان ذكر المنعم المتعال، "وقال الطيبي: أراد فقر النفس. أعني: الشره الذي يقابل غنى النفس الذي هو قناعتها، والقلة في أبواب البر وخصال الخير، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يؤثر الإقلال في الدنيا ويكره الاستكثار من الأعراض الفانية".[٣]

ثالثا:كما ترى لمحة آخرى في قوله:"وأرذل العمر"، كناية عن التدهور العمري الذي يبلغه الإنسان في آخر حياته من الضعف والوهن، وهى من الكنايات التى جسدت مرور العمر دون الحيلولة في وقوفه، وقد جاءت الكناية مشيرة إلى تلك المعاني ودالة عليها، فالكناية" من أروع المسالك البيانية والطرق الأسلوبية التي يعبر بها المنشئ عن المعنى، تعبيرًا مُظِلاً هادفا موجزا، يخفى تحت ظلاله لطائف مراده"[٤]، مما يعمق المعنى ويقويه لدى المخاطب.

رابعا: حسن تقسيم بين الكلمات والتراكيب، في الروايتين، وذلك ملتمس من الفصل بحرف الواو بين كلمات (العجز والكسل والجبن والهرم والبخل)، أو الفصل بين تراكيب (أرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات)، وجاء الوصل بـ"الواو" في

(١) التعبير القرآني دراسة بيانية فى الأسلوب القرآني ،صـ١٢٦.

(٢) أساليب التوكيد في أدب الرافعي دراسة نحوية دلالية، صـ٣٦،.

(٣) النووي، شرح مسلم، ج ١١، ص ٨١.

(٤) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، ، صـ٢١١.

قوله:"العجز...، والكسل...،والجبن...، والهرم"، للتوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الجهة الجامعة بينهما؛ فكلاهما مسند إلى الله عز وجل دون سواه.

خامسا:وفي الكلام ايجاز بالحذف، في قول النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل...إلخ)، والتقدير أن النبي يعوذ بالله من شرور وضعف تلك الأشياء، ولكنه حذف المضاف وأبقى المضاف إليه للدلالة عليه وسهولة التوصل إليه، دون أن يكون هناك أي خفاء أو إبهام في الدلالات.

سادسا: ترى التشديد في قوله: "ظلَّمت" فهى تدل على شدةحرقت النفس بما كسبته من سيئات وذنوب:"فلو أنك حذفت الشدة من الكلمة لخفف الجرس وضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها اللفظ واستقل برسمها"(١)، وتلك لمحات بلاغية من هدى المصطفىﷺ.

سابعا: ترى الالتفات الذي يلف أركان الحديث الشريف " اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كبيرًا -وقال قتيبة كثيرًا- ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم "،فالمقام هنا مقام تربية من الرسول لأمته في الدعاء والتعبد مع الله عزوجل فناسبه الالتفات لأن تلك الأوصاف تتضمن نوعا من تحمل النفس لتلك التبعات في حياتها الدنيوية، ونقل الى الخطاب لأنه ﷺ إلى معنى التربية والخضوع والسكينة مع الله عز وجل الحاضر الباقى الرحيم، ناهيك عن الايقاع والجرس في الجناس الذى أيقظ الآذان لتتنبه إلى أمر الرسولﷺ في كيفية الدعاء والتضرع من الله عز وجل.

إذن فالدعاء هنا يحمل الشمولية من فهم نظمهﷺ : فهو ليس موجهًا إلى صحابي بعينه، وإنما هو بلاغ للأمة كلها في صورة المتلقي من النبي ﷺ، وكأن المتلقي يمثل أمة من الناس تختلف أزمنتهم وأمكنتهم من الواجب عليهم التلقي من النبي ﷺ.

(١) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، التصوير الفني في القرآن دار الشروق، ط١٧:،صـ٨٧.

المبحث الثالث: من بلاغة دعاء النبي ﷺ لنفسه مع عامة المسلمين.

الحديث الأول

نص الحديث: حدثني زهير بن حرب وابن نمير كلاهما عن المقرئ، قال زهير: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، قال: حدثنا حيوة: أخبرني أبو هانئ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي، أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) .[1]

فسياق هذا الحديث في عمومه:بيان لأمر عظيم، وشأن خطير وكبير، وهو أن الله جل قدره هو الذي يتولى قلوب العباد بنفسه، فيصرّفها كلها كقلب واحد كيف يشاء، باقتدار تام، لا يشغله قلب عن قلب، وأنه هو جل وعلا يتولى الأمر بنفسه، لا يكله لأحد من الملائكة، ولم يطلع أحدًا على سرائره من خلقه لمحض رحمته وفضله، وكمال حكمته جل وعلا، وفيه بيان أن العبد ليس إليه شيء من أمر سعادته، أو شقاوته، بل إن الأمر كله لله، فإن اهتدى فبهداية الله تعالى إياه، وإن ضل فبصرفه له بحكمته وعدله، وعلمه السابق عز وجل فلعظم هذا الأمر كان سيد الأولين والآخرين، المزكى من رب العالمين، مفتقرًا إلى الله عز وجل في كل حين بالدعاء لتثبيت قلبه على دينه وطاعته.

وفي بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسرارًا بلاغية منها:

أولا: عدم حمل الجارحة في حق الله تعالى تنزيهًا له على غير معناها المادي، وهذا هو مذهب أهل السنة في الصفات، فالله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه ولا يشبه شيئًا

(١) صحيح مسلم، حديث ٦٩٢١.

من خلقه، فالله تعالى مخالف للحوادث، وقد قال الله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ "التصريف، من التوجيه والتبديل والنقل"(١)، ولذا عبر النبي ﷺ بالتصريف، دلالة على شدة التغير في التوجيه، ودلالة التوجيه دلالة على شدة التغيير.

ثانيا:حذفت أداة النداء أيضًا المتعلقة بلفظ (مصرف)، والإشعار بأقربية المنادى، وهو الله تعالى. والتقدير: (يا الله يا مصرف القلوب)،كما استعارة لفظ التصريف الخاص بالرياح للقلوب المخصوصة بالتقلب، دليل على كون الأمر بين يدي الله تعالى بشموليته تحت أمره بقوله: كن، فيكون،حيث عبر عنها بالأسلوب "التصويري: فـ"كلما كان التعبير عن المعنى بأساليب تثير الفكر وتعمل العقل للوصول إليه كان أروع وأمتع من غيره(٢)،وكأن المقصود أن الطاعة جسم تنصرف له القلوب أو مكان تذهب إليه الأفئدة. وهو من جمال تجسيد اللامحسوس بالشيء المحسوس، فـ" الأسلوب التصويري يجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه حيث ترى الأمر المعنوي من خلاله ملموسا محسا"(٣)،مما يؤكد المعنى ويقويه.

ثالثا:وتخصيص الطاعة بحرف الجر (على)، يفيد التجسيد والمكانية، ، وهذا يستقيم مع خوف المؤمنين من دحر الفتن والشرور عليهم، كما يلاحظ التقييد بالجار والمجرور وإيثاره حرف الجر "على"؛ إبرازًا لحالة الاستعلاء " إلا ما كان الفعل فيه مع

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، باب (ص ر ف)، ص ٣٥٦.

(٢) د. صابرين عبد الوهاب عبد النظير/" تنوع صور الشخصية الإسلامية بين روايات علي الجارم وجُرجي زيدان(دراسة بلاغية موازنة)، جامعة الأزهر،كلية اللغة العربية بأسيوط،الدراسات العليا والبحوث،صـ١٤٣.

(٣) د/عبد الغنى محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا ،صـ٢٩٢، الناشر مكتبة وهبة القاهرة،ط١/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

حرف الاستعلاء"[١]، وتلك لمحات بلاغية من الهدى المحمدى.

رابعا: تأتي عمومية الدعاء في الحديث أن النبي ﷺ قد دعا بضمير المتكلم (نا)، وهو للمتكلم الجمع، والمقصود منه عامة المسلمين، ولم يكن من عادة النبي ﷺ أن يستخدم (نا) الفاعلين للعظمة والأبهة، فالنبي آية في التواضع وخفض الجناح. ومقام الدعاء مقام تذلل وليس مقام افتخار وأبهة، كيلا يظن ظان أن (نا) للتعظيم.. لا، بل (نا) لمجموع العموم، فالنبي ﷺ يدعو للأمة ،فهذا التعليم المهم منه ﷺ لأمته أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف، مشفقين غير آمنين من سلب الدين واليقين والإيمان.

خامسا:ترى التصوير بالتشبيه في قوله:" إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن،كقلب واحد يصرفه حيث يشاء"فالتشبيه صور لنا حال القلوب بين يديه عز وجل فهى صورة قلب واحد يراه جل وعلا ويعلم ما به ويقلبه كيف شاء، فالأسلوب التصويري" متفرد بالقدرة على التأثير في المشاعر، والوصول إلى أعماق النفس البشرية، محركا لكوامنها، ومأججا لقواها"[٢]، كما أن التشبيه يقرب المعانى ويكسبها الجلاء والوضوح فى الإفهام فهو:" أفضل أداة لتقريب البعيد من المعاني، وإجلاء الخفى، بل هو في جوهره لغة الفهم والإفهام"[٣]،مما تناسب مع المعنى وأوضح المقصد.

(١) تنوع صور الشخصية الإسلامية، صـ ١٣٦.

(٢) ينظر بتصرف: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا، صـ٣٣.

(٣) أسماء سعود الخاطب ،التشبيه في معلقة عنترة رؤية بلاغية جديدة ، عدد ٨/مجلة العلوم الإنسانيةـ البحرين ٢٠٠٤م، صـ ٢.

المبحث الرابع: من بلاغة بعض الأحاديث التي وردت في الدعاء على أشخاص أو أقوام بعينهم من النبي ﷺ.

الحديث الأول

نص الحديث: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق، قال: كنا عند عبد الله جلوسًا وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن قاصًا عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم منكم شيئًا فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين). إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدبارًا فقال: (اللهم سبع كسبع يوسف). قال فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان. فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم –قال الله عز وجل: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ إلى قوله: (إنكم عائدون). قال أفيكشف عذاب الآخرة ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦﴾ فالبطشة يوم بدر وقد مضت آية الدخان والبطشة واللزام وآية الروم.(١).

فسياق هذا الحديث في عمومه: إعلام بخطورة الكلمة، وخطورة الكلمة تكمن فيما إذا كانت عن علم أم عن جهل. وفي الحديث دعاء على المشركين بأن يضيق عليهم في حياتهم ومعاشهم، وقد استجاب الله تعالى للنبي ﷺ وحصل ما دعا به عليهم، واستنجدوا بالنبي حتى ترتفع تلك الغمة عنهم.

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٧٢٤٤.

وإذا ما تأملنا بلاغة الحديث من حيث مبانيه ومعانيه نرى أسراراً بلاغيةً كثيرة:

أولا: نلاحظ بلاغة الايجاز بحذف المضاف إليه من قول النبي ﷺ: (سبع)، حيث اقتصر النبي ﷺ بالإبقاء على المضاف دون المضاف إليه؛ والمقصود بسبع يوسف، هن السنوات السبع اللاتي كان فيهن الجوع والقحط، والمشار إليهن في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ؛تنبيها لشدتها على نفس السامع وتعظيما لشأن تلك السبع الشدائد على قوم سيدنا"موسى"عليه السلام،لأن" المضاف إلى عظيم يعظم بالإضافة إليه"(١)، مما يعمق المعنى ويؤكده.

ثانيا:كما ترى دلالة الصورة التشبيهيه" سبع كسبع يوسف" فشبه حال قوم النبي وما سوف ينزل عليهم من شدة ومشقة لعصيانهم ، بحال قوم يوسف عندما أصابهم القحط ونزل بيهم البلاء، ووجه الشبه"البلاء والشدة في كل"، ودلالة التشبيه نقل الحال وصوره كأنه ماثل أمام المخاطب، فالصورة أحالت المعنى المعنوي في صورة محسة لزيادة تقريره وتمكينه في النفس فالنبيﷺ " أراد بهذا التشبيه تحريك مشاعرهم والتأثير فيهم بل ودفعهم إلى التفكير في تغيير الوضع وترجيح الكفة لصالحهم"(٢) ، مما يعمق المعنى ويوضحه ويتناسب مع مقام التخويف من العصيان ومغبته.

ثالثا:كما نرى أن الحديث مخصص: بالدعاء على أقوام بعينهم، وهو من الدعاء السلبي، وهم قريش، حينما اشتد إيذاؤهم للنبي ﷺ،والدعاء السلبي لا يأتِ بأي نفع، وإنما المقصود منه الإضرار بالمستجلب عليه الدعاء،والحديث هو دعاء على المشركين بأن يضيق عليهم في حياتهم ومعاشهم؛ ولذا أتى بها"سبع" كما نرى التنكير هنا للنوعية، فهو أراد نوعا خاصا من السبع الشدائد في البلاء والشدة لا مماثل ولا مقابل

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل٣/٣٤٦.

(٢) وسائل الإقناع صـ١٣٠.

له، وهذا هو معناه الرئيس الذى تناسبه دلالة التنكير.

والدعاء في الحديث يحمل الشمولية: بدليل بحذف أداة النداء على لفظ الجلالة، مع التعويض عنها بميم مشددة في آخر اللفظ الجليل، وقد استجاب الله تعالى للنبي ﷺ وحصل ما دعا به عليهم، واستنجدوا بالنبي حتى ترتفع تلك الغمة عنهم، ومن النادر أن يدعو النبي على أحد.

الحديث الثاني

نص الحديث: حدثني أبو الطاهر: حدثنا ابن وهب عن الليث عن عمران بن أبي أنس عن حنظلة بن علي عن خفاف بن إيماء الغفاري، قال: قال رسول الله ﷺ في صلاة: (اللهم العن بني لحيان ورعلًا وذكوان، وعصية عصوا الله ورسوله. غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله).(١)

ونلحظ من سياق الحديث على عمومه: أن اللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، ومعناه من المعاني التي تستوجب العذاب والغضب، والنبي في الدعاء يلعن جماعة من العرب كذبوا بلقاء الله تعالى ولم يؤمنوا بالرسول ﷺ.

إذا أمعنّا التفكُّر في بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى أسرارًا بلاغيةً كبيرة:

أولا: فإن في الحديث أساليب بديعية تمثلت في الجناس الناقص الذي استخدمه النبي ﷺ في الدعاء، ودلالة الجناس في قوله: (غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله). وهو يورث جرسًا موسيقيًا في الأذن، ويبعث على الانتباه وتعلق المعنى بالذهن. وكذلك أيضًا قول النبي ﷺ: (وعصية عصوا الله ورسوله)؛ يتنبه لها العقل ويقشعر لها القلب وهذا يتناسب مع مقام التخويف من تكذيب وعد الله عز وجل،كما جاء العطف بالواو

(١) صحيح مسلم، حديث ٦٥٩٤.

بين: (الله ورسوله) جاء للترتيب مع العطف. فالله تعالى أولًا ثم النبي ﷺ؛ لأنه في حضرة الربوبية لله عز وجل.

ثانيا:ترى دلالة أسلوب الأمر"اللهم العن" الذى علل به هذا اللعن في دعائه عليهم؛ وهو تكذيبهم بوعد الله ولقائه،فهذا التعليل يقوى به الأمر، فـ:"إنه مما يقوى به الأمر أن يُتْبَع بذكر سببه وعلته؛ لأن ذكر السبب والعلة يحقق الأمر ويؤكده"(١)،كما أن فجأتهم بالدعاء ألحق بهم الضرر دون أن يعرفوا وقته؛ لأن العذاب والبلاء إذا نزل بالمرء من غير توقع له، كان ذاك أسرع في القضاء عليه، مما تناسب مع مقام التخويف ودعمه.

ثالثا:التعبير بالاسم العلم بقوله: "لحيان ورعلًا وذكوان، وعصية عصوا الله ورسوله"؛ ليستحضر شرهم وتأليبهم الفتن بين الناس بمعصيتهم وتكذيبهم، وكأنهم ماثلون أمام عينيه، فهى تطوى بداخلها دلالات تناسب مقام التخويف، كما ذكر الأقوام المؤمنة" غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله" وما أعطاه معنى المغفرة والمسالمةمن عقاب الله من زيادة الطمأنينة لتلك الأقوام.

ومن هنا تبين لنا أن: الحديث مخصص بالدعاء على أقوام بعينهم، والدعاء لغيرهم أيضًا. والدعاء على أشخاص أو أقوام هو من السلبي لا يأتِ بأي نفع،وإنما المقصود بالدعاء السلبي من النبي ﷺ الإضرار بالمستجلب عليه الدعاء،والحديث هو دعاء على المشركين بأن يضيق عليهم في حياتهم ومعاشهم.

الحديث الثالث

نص الحديث: وحدثنا عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الجعفي: حدثنا عبد الرحيم – يعني ابن سليمان– عن زكرياء عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن

(١) محمد محمد أبو موسى ينظر: الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراءمكتبة وهبة، ط٢: ١٤٢٣هـ-٢٠١٢م،، صـ٢٥٦،.

مسعود، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر. لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي -صلى الله عليه وسلم -ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه. ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا. وإذا سأل سأل ثلاثًا ثم قال: (اللهم عليك بقريش). ثلاث مرات. فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: (اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط). وذكر السابع ولم أحفظه فوالذي بعث محمدا ﷺ بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر.[1]

رواية أخرى للحديث: حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار -واللفظ لابن المثنى- قالا: حدثنا محمد بن جعفر: حدثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق يحدث عن عمرو بن ميمون عن عبد الله، قال: بينما رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر رسول الله ﷺ، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال: (اللهم عليك الملأ من قريش، أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو أبي بن خلف). شعبة الشاك. قال: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر، غير أن أمية أو أبيًا تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر.[2]

(١) صحيح مسلم، حديث ٤٧٥٠.

(٢) صحيح مسلم، حديث ٤٧٥١.

رواية أخرى للحديث: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا جعفر بن عون: أخبرنا سفيان عن أبي إسحاق بهذا الإسناد نحوه وزاد وكان يستحب ثلاثًا يقول: (اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش). ثلاثًا. وذكر فيهم الوليد بن عتبة وأمية بن خلف، ولم يشك. قال أبو إسحاق ونسيت السابع.(١)

وفي سياق هذا الحديث عموم الدعاء على المشركين، وهم من آذوا النبي ﷺ فوضعوا سلى الجزور هي أمعاء الإبل وحاجياتها والقاذورات التي تكون في أمعائها عليه أثناء صلاته، وفي الخصوص بيان لما كان يتكبده النبي ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله.

وإذا ما نظرنا إلى بلاغة الحديث من جهة مبانيه ومعانيه نرى به أسراراً بلاغيةً كبيرة منها:

أولا:ابتداًء بقول النبي ﷺ: (اللهم)،بحذف أداة النداء، التي مقامها هنا الدعاء، والاتيان بالجار والمجرور بقوله:(عليك) هو اسم فعل أمر، وليست حرف جر وضمير متصل بها، ومعناها الإهلاك والتتبع لهؤلاء القوم الظالمين، تناسبا مع مقام الوعيد من دعائه ﷺ، فالكلام هنا ليس على إطلاقه في الدعاء:"اللهم"؛ إنما على هؤلاء الذين أُنْزل عليهم دعاء النبي ﷺ فقدم الجار والمجرور"عليك" ؛لإفادة تخصيصهم بهذا الدعاء.

ثانيا:وتكرار الدعاء ثلاثًا توكيد لفظي، يدل على العناية باللفظ وما وراءه، ثم التوكيد على ما أتى في نص الدعاء، الرادع بالدعاء عليهم اشتمل على أمرين: الأول: أن "عليك" الأولى: تهديد بشيء خاص وهو العذاب الذى سلطه الله للانتقام من أعداء الرسول ، والأخرى: حققت صدق والثانية تأكيد لوعيد الأولى، وليس هذا فحسب؛ بل" إن التكرار من أساليب التأثير في قلب المتلقي وعقله، وهو السبيل إلى تقوية المعنى

(١) المصدر السابق، حديث ٤٧٥٢.

في نفسه"[1]،والثالثة"عليك" تأكيد للويل والعذاب الذى سوف تقع فيه قريش جراء دعاء النبيﷺ عليهم، وتناسب هذا التكرار بالتوكيد مع مقام العذاب اللاحق بهم، وهنا تتكرر ثم تتكرر حتى يخفق قلب السامع ويتنبه للمعنى المقصود من الدعاء عليهم، وبلاغة التكرار تكمن في استيلاء الرعب والفزع عليهم من دعائهﷺ.

ثالثا:أسلوب الحوار الذى ألقى بظلاله على الصورة الدعائية التى فيها آذت قريشا النبيﷺوهو أثناء الصلاة فهَّم عليهم بالدعاء؛ وتكمن بلاغة الحوار في أنه محرك للأحداث ومصور للأمر المتكلم عنه"فالحوار له خصائصه وأهدافه فهو يتسم بأنه محركا حي للأحداث ولا سيما في القصةالحوارية فهو مصور للشخصيات وقد تجلت عنه"([2])،وذاك أدعى لردع هؤلاء الكافرين وهدم شوكتهم وتحذيرا لغيرهم من محاولة آذاء النبيﷺ، كما أن أسلوب الحوار" تكمن أهمية أسلوب الحوار فى ميل النّفس إليه وإضفائه الحيوية على النَّص الأدبى الجميل، ودفعه للملل والشرود، وشدِّه انتباه السامعين، ويجعل الإقبال على متابعة النَّص أشد والذهن أكثر تفتحا وتجاوبًا"[3] ، وكل هذا ساعد في تأكيد المعنى وتقريره في ذهن السامع.

رابعا: ذكر هؤلاء الكفار باسمائهم خاصة دون إضمارها بقوله:(اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط)؛ليفلت النظر إلى جرم هؤلاء وبلائهم بما فعلوه مع النبيﷺ، كما أن التعريف هنا ميزهم عن غيرهم بمحنة العقاب وقسوته، وكل هذا تناغى من المعنى المقصود وآكد دلالته.

---

(١) أساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني شعر الإمام الشافعي أنموذجا، المجلد٩، ع٤، صـ٥.

(٢) فاتح عبد السلام،الحوار القصصى تقنياته وعلاقاته السردية، دراسة أدبية،صـ١٨/ الناشر: المؤسسة العربية للطباعة والنشر–بيروت، ط:١/١٩٩٩م.

(٣) ينظر: الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه، صـ٩٩.

وتأتي عمومية الدعاء في الحديث: في أن كثيرًا من الأحاديث ما تكون من غير سبب، ومنها ما تكون بعد سبب، سواء كان هذا السبب سؤالا أو حادثة أو قصة، فيعقب النبي ﷺ على السبب، فيكون قرينة مُعِيْنة على فهم معنى الحديث؛ إذ قد يكون لفظ الحديث عامًا أو خاصًا، أو يكون ظاهره موهمًا معنى غير مراد، فبمراعاة السياق الذي قيل فيه الحديث، ومراعاة الملابسات والظروف التي توضح مقصود الحديث، يسدد الناظر في تنزيله على المعنى الصحيح.

هنا بيان لخصوصية الحديث: بالدعاء على أقوام بعينهم، وهو من الدعاء السلبي. وهم قريش وصناديدها، حينما اشتد إيذاؤهم للنبي ﷺ،فالدعاء السلبي لا يأتِ بأي نفع، وإنما المقصود منه الإضرار بالمستجلب عليه الدعاء. والحديث هو دعاء على المشركين بأن يضيق عليهم في حياتهم ومعاشهم.

وقد استجاب الله تعالى للنبي ﷺ وحصل ما دعا به عليهم، واستنجدوا بالنبي حتى ترتفع تلك الغمة عنهم في بعض الأحيان، وقد حصل كما في الروايات مشاهدة هلاك هؤلاء الفئة الباغية، ومن النادر أن يدعو النبي على أحد.

الخـــاتـمة

الحمد لله الذي يسّرَ ليَ الوصولَ إلى نهايةِ هذا المطافِ المُبارَك، وبلوغَ خاتمةِ هذا المشوارِ المَيمون، وأشكرُه تعالى على ما نالني من شرفِ معايشة أحاديث دعاء النبي ﷺ من خلال دراسة التراكيب البلاغية لتلك الأحاديث، وقد سعدتُ بهذه الصُحبة العظيمة، وبالإبحار وسبر أغوارِ الدعاءِ النبوي، وقد تبيّنَ لي من خلال الدراسة **عدة نـتـائج من أهمها:**

١- أن مقام الدعاء من أصدق المقامات الخطابية وأبعدِها عن الصنعة والتكلّف.

٢- أن النداء يُشكِّلُ نمطًا من أنماط الدعاء، وقد كوّنَ أغلب مقدماتِه، وتمثّل في أغلبِه بالصيغة المشهورة (اللهم) التي أعطت دلالاتٍ متعددةً تبعًا لسياقاتِ وجودها.

أما من ناحية الجمل والأساليب البلاغيـة فقد رصد البحث ما يلي:

- بيَّنت الدراسة كثرة أساليب التوكيد في أحاديث الدعاء عند النبيﷺ، فقد وردت حوالي سبع مرات؛ وقد ساعدت الأساليب في إبراز المعنى في صورة السبب والنتيجة؛ لتغدو مِن أهم الوسائل التي تقنع القارئ بالمعنى المراد(١).
- ورود أسلوب الاستفهام الذى جاء عقب النداء في موضعين من البحث، فالاستفهام فيه من الإثارة والتنبه والإيقاظ ما يساعد على تمكين المعانى وتقريرها في ذهن المتلقي(٢).
- كثرة ورود "الجناس" فورد في خمسة مواضع من البحث؛ الذى دلل بدوره على تناغم المعنى وأثار الإيقاظ والتنبيه على دعاء النبيﷺ،لأصحابه(٣).
- بينت الدراسة كثرة أسلوب الحوار في بنية الإحاديث مما يدلل بدوره على ميل النّفس إليه وإضفائه الحيوية على المعنى المقصود، ودفعه للملل والشرود، وشدِّه

(١) ينظر البحث، ص ٧٩، ص١٠٠، ص١٢٩.

(٢) ينظر البحث،ص، ص١٢١.

(٣) ينظر البحث،ص١٠٩، ص١١٦، ص ١٣٧.

انتباه المتلقي لما سوف يلقى إليه([1]).

- كثرة ورود التقسيم في مبنى الأحاديث الذي ألقى بظلاله على المعانى المرادة فأكسبها جمالا ووضوحا فقد ورد خمس مرات في الدراسة([2]).
- وردت الجملة الفعلية بفعلها الماضى والمضارع والأمر أكثر من مرة في ثنايا الأحاديث التى دللت على تأكيدالمعنى وتحققه وتجدده في ذهن المتلقي([3]).
- تزاحم الوصل بين معانى"الواو–الفاء" والذى دلل بدوره على اتصال المعانى وترتيبها وتعاقبها على بعض، فكان من جمالها"التوسط بين الكمالين، وشبه كمال الاتصال"[4].
- وردت الأصوات ما بين المد والوقف في ثنايا الأحاديث الأمر الذي أعان المعنى على الوضوح والإبانة للمتلقى للدعاء([5]).
- كما بينت الدراسة وجود أسلوب" القصر" فورد ثلاث مرات باختلاف آداته"النفى والاستثناء، وإنما"؛لأن المعاني التي جاءت من الأهمية بمكان ويجب على السامع الإصغاء والالتفات إليها، كما أنها تعلو فيها النبرة ويشتد فيها الخطاب([6]).
- كثرة أسلوب "الشرط" فورد في ثلاث مواضع في ثنايا البنية التركيبية في الأحاديث، كما يرجع بدوره إلى وسائل الإقناع وتأكيد الدعوة بالحجة والدليل([7]).

---

(١) ينظر البحث،ص١٤١، ص١٣١.

(٢) ينظر البحث،ص٧٩، ص٩٧،ص٩٩، ص١١٥.

(٣) ينظر البحث، ص١١٦، ص١٣٧، ص١٣٨.

(٤) ينظر البحث، ص١٠٠، ص١٠٦.

(٥) ينظر البحث، ص٩١، ص١٠٩، ص١٢١.

(٦) ينظر البحث ص٧٦، ص١٠٥، ص١١١.

(٧) ينظر البحث، ص١٠٨، ص١١٠، ص١٢٤.

- ورد الايجاز بالحذف في أكثر من موضع؛ لينبه بدوره على تنشيط النفس وإثارة الحس لتعى القلوب ما يلقى لها من الدعاء(١).
- تزاحم التصوير البيانى من"التشبيه، والاستعارة، والكناية"في البنية التركيبية للأحاديث؛ فهى وسيلة الاقناع ومحط التحقق من المعانى(٢).
- كما بينت الدراسة ورود كل من"التعريف بالعلم، والسجع، والطباق" الذي ألقى بظلاله على المقصد ووضح المعنى في أكمل صورة وأتمها(٣).

وتوصي الدراسة: بتوجيه الباحثين للبحث في الحديث النبوي عامةً وتحليلِ جُمَلِه ومضامينِه، والاستفاضةِ في فهم المعاني النبوية من خلال البحث في ألفاظِها، بهدف الكشفِ عن وجوه الإعجاز فيها؛ لأنها متضمنة أجلّ المعاني، وأدقها.

ومن هنا استطيع أن أقول: إنَّ البلاغة النبوية بحاجة للمزيدِ من الدراسات المتخصصة، فعلى الرغم من كل ما كُتِبَ في البلاغة النبوية من دراساتٍ ومؤلفات قديمة وحديثة؛ إلا أنها تظلُ نبعًا صافيًا لا يجف؛ ولذا فعلى الباحثين أن يتجهوا لها، ويفيدوا منها، ونسأل الله التوفيق والتأييد، ونرجوه العفو عن الزلل والخطأ، وإنما هي محاولة صادقة خالصة لوجه الله تعالى في استشراف البلاغة المحمدية، رزقنا الله شفاعته يوم لا ينفع نفسًا إلا ما قدمت، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ينظر البحث، ص٧٠، ص١١٨، ص١٣٦.

(٢) ينظر البحث، ص٨١، ص١٣٠، ص١٣٤.

(٣) ينظر البحث، ص١٣٨، ص١٤١.

ثبت المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

١. الأعلام: خير الدين الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢هـ.

٢. أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية: د/صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣. أسرار البلاغة: أبوبكر عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٤. أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا: د. عبد الغنى محمد سعد بركة، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٦. أساليب الإقناع اللغوي في شعر الوعظ الديني: شعر الإمام الشافعي أنموذجًا، إعداد: نزال فوز سهيل كامل، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، المجلد٩، ع٤.

٧. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د/ مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

٨. أساليب التوكيد في أدب الرافعي دراسة نحوية دلالية ، د: فاطمة حسين السيد حسين ،بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير، جامعة القاهرة كلية العلوم قسم النحو والصرف والعروض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٩. الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ط٥، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.

١٠. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: محمد بن عبد الرحمن بن

عمر أبو المعالي جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١١. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح: الإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن جلال الدين الخطيب المعروف بالقزويني، تحقيق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط.د.

١٢. بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص:أ.د بسيوني عبد الفتاح فيود ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م،الناشر مؤسسة المختار للطباعة والنشر. القاهرة.

١٣. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٤. ،البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي /المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم/الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م/ لناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١٥. بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل: تأليف: ظافر ابن غرمان العمري / الناشر مكتبة وهبة القاهرة/ط:١/ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٦. بناء الجملة الفعلية في القصة القصيرة جدا عند منير عتيبة دراسة نحوية دلالية: د. بدور عبد المقصود أبو جنينه.

١٧. تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ت (٢٧٦هـ)، شرح: السيد أحمد صقر، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤هـ.

١٩. التشويق في الحديث النبوى طرقه وأغراضه: د. بسيوني عبد الفتاح فيود،

ط:١/١٤١٤/١٩٩٣م/ مطبعة الحسين الإسلامية، خلف الجامع الأزهر.

٢٠. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان: د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢١. التصوير البياني في شعر المتنبي: الوصيف هلال الوصيف، مكتبة وهبة، ط١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٢٢. التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية: إعداد الدكتور:عبد العزيز صالح العمار/الناشر المجلس الوطني للأعلام بدولة الإمارات/ ط:١/ ١٤٢٧هـ/١٩٩٧م.

٢٣. التصوير الفني في القرآن ،سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي،ط:١٧، دار الشروق.

٢٤. التعبير القرآني دراسة بيانية فى الأسلوب القرآني: الدكتور: فاضل صالح السامرائي/أستاذ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد/ ط٤: ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م/الناشر دار عمار ـ عمان.

٢٥. التشبيه في معلقة عنترة رؤية بلاغية جديدة ، أسماء سعود الخاطب ، عدد ٨/مجلة العلوم الإنسانيةـ البحرين ٢٠٠٤م.

٢٦. تفسير أبي السعود ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٧. تنوع صور الشخصية الإسلامية بين روايات علي الجارم وجُرجي زيدان(دراسة بلاغية موازنة)، د.صابرين عبد الوهاب عبد النظير، جامعة الأزهر،كلية اللغة العربية بأسيوط،الدراسات العليا والبحوث.

٢٨. الحوار القصصى تقنياته وعلاقاته السردية، دراسة أدبية، فاتح عبد السلام، /الناشر:المؤسسةالعربية للطباعةوالنشر-بيروت،ط:١/١٩٩٩م.

٢٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، دار الفكر، ط١٢، بيروت، ١٩٧٨.
٣٠. الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي المصري، المحقق: د/ فخرالدين قباوة – أ/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٣١. الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته: محمد لطفي الصباغ، المكتبة الإسلامية بيروت ـ دمشق ـ عمان، ط٨: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م.
٣٢. الحديث النبوى من الوجهة البلاغية: تأليف: كمال عز الدين السيد، ط:١ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، دار إقرأ للطباعة والنشر.
٣٣. حروف المعاني والصفات: ن ابن إسحاق الزجاجي، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١: ١٩٨٤م.
٣٤. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د/ محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبة، ط٨: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م
٣٥. دلالات التراكيب دراسة بلاغية: د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٦. دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني،مكتبة الخاشقجي،ط٥، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣٧. دلائل الإعجاز في علم المعاني،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، ، تح: محمود محمد شاكر أبو فهرالناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة/الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م،
٣٨. الديباج على صحيح مسلم: السيوطي، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، ٢٠٠٦هـ.
٣٩. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين الطبري (ت: ٦٩٤هـ)، عنيت بنشره مكتبة المقدسي، عن نسخة دار الكتب المصرية ونسخة الخزانة التيمورية، ١٣٥٦ هـ. موقع العتبة الكاظمية المقدسة بشبكة الإنترنت.

٤٠. سبل استنباط المعانى من القرآن والسنة، دكتور محمود توفيق سعد ، مكتبة وهبة ط١: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٤١. السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق: محمد نبيل طريفي، ط٣:، دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

٤٢. سنن الترمذي: أبو عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط.د، بيروت، ١٩٩٨.

٤٣. سير أعلام النبلاء: الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الحديث القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤٤. الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، محمد محمد أبو موسى ينظر: مكتبة وهبة، ط٢: ١٤٢٣هـ-٢٠١٢م.

٤٥. شأن الدعاء: أبو سليمان الخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، ط٣، دار الثقافة العربية، بيروت، ١٩٩٢م.

٤٦. شرح ألفية ابن مالك في النحو والصرف: ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤٧. شرح رياض الصالحين: ابن عثيمين (ت ١٤٢١هـ)، د.ط، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٤٨. شرح مسلم:النووي(ت ٦٧٦هـ)،دار إحياء التراث العربي،ط٢،بيروت، ١٣٩٢هـ.

٤٩. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: أبو بكر بن العربي (ت: ٨٤٠هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط:١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤هـ.

٥٠. صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث ٣٦٩٧ جـ ٨/صـ١٩٧/مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٥١. صحيح البخاري:الامام البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية، بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢ هـ.
٥٢. صحيح مسلم: الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٥٣. صورة السماء والأرض في القرآن الكريم دراسة بلاغية ،نوال علي عبدالرحمن ، رسالة ماجستير مخطوطة كلية الدراسات جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، إشراف أ.د/خليل عودة، ٢٠١١م.
٥٤. الصناعتين (الكتابة والشعر): أبو هلال العسكري، تحقيق:علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم،د.ط،المكتبة العصرية،صيدا–بيروت–لبنان، ٢٠١٣م.
٥٥. الطراز: يحيى العلوي علي بن حمزة، طبعة المقتطف، ج٣، مصر، ١٩١٤م.
٥٦. الطباق والمقابلة في خطب الإمام علي" عليه السلام" في نهج البلاغة دراسة بلاغية ـ دلالية، / المديرة العامة لتربية ميسانالناشر/ مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية /المجلد التاسع/العدد السابع عشر من كانون الأول ٢٠١٠م.
٥٧. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الملقب بالمؤيد باللَّه /الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ،
٥٨. عبقرية محمد: عباس محمود العقاد، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.
٥٩. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٣، القاهرة، ٢٠١٠م.
٦٠. علم المعانى دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعانى د٠بسيونى عبد الفتاح فيود /الناشر مكتبة وهبة ١٤٠٧هـ،د.ط.
٦١. علم البيان ،مصطفى هدارة، ط:١/الناشر: دار العلوم العربية بيروت ـ لبنان ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٦٢. علم البديع دراسة تاريخية فنية لأصول البلاغة ومسائل البديع / تأليف:

بسيونى عبد الفتاح فيود/ صـ٢١٦/ط:٤/٢٠١٥م/مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

٦٣. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»،أحمد بن مصطفى المراغي ، بدون طبعة ودار نشر.

٦٤. علم المعاني: أحمد محمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٠م.

٦٥. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ٢٠٠٣م.

٦٦. فن الجناس، تأليف: على الجندي /الناشر دار الفكر العربي، بدون طبعة، عام النشر ١٩٥٤م.

٦٧. فتح المنعم بشرح صحيح مسلم: موسى شاهين لاشين، ط١، دار الشروق، ٢٠٠٢م

٦٨. الفروق اللغوية، أبوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت:نحو٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٦٩. فيض القدير: المناوي (ت ١٠٣١هـ)،المكتبة التجارية الكبرى، ط١، مصر١٣٥٦ هـ.

٧٠. القاموس الوسيط: الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٧١. الكتاب، سيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون/الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة/الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م.

٧٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم الزمخشري ، ١١٧/١،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٧٣. كتاب السنة قبل التدوين ،تأليف :محمد عجاج الخطيب /دار الفكر للطباعة، بيروت/ط:٣ جـ١.

٧٤. كتاب الجهاد والسير ،البخاري، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم،د.ط.

٧٥. لسان العرب: ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.

٧٦. المستدرك على الصحيحين للحاكم ١٧١/١/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ط:١، عام: ١٤١١ – ١٩٩٠.

٧٧. مسند الإمام أحمد: الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.

٧٨. مختصر المعاني للعلامة سعد الدين التفتازاني، ط١: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م،مكتبة البشر.

٧٩. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، الجزء الثاني، دار الجيل، بيروت.

٨٠. معجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، دار المنارة جدة، دار الرفاعي الرياض، ط٣، ١٩٨٨م.

٨١. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، تحقيق: حمدي قابيل، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٨٢. المنهاج شرح صحيح مسلم، أبو زكريا النووى، دار احياء التراث العربي بيروت،ط:٢، ١٣٩٢هـ.

٨٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ،أبوعبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣: ١٤٢٠هـ

٨٤. النحو الوافي: عباس حسن، ج٤، طبعة دار المعارف

٨٥. النبوات: ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد العزيز بن صالح، دار أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٠م.

٨٦. وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج ،سليمة محفوظي/ " رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر لخضر- الجزائر ٢٠١٠/٢٠١١.

٨٧. وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم ،عبدالسلام أحمد راغب، ، قسم الدراسات والترجمة والنشر بحلب ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

فهرس المحتويات

م	الموضوعات	رقم الصفحة
٢	مستخلص	٥٦
٣	المقدمة	٥٨
٤	التمهيد	٦٤
٥	التعريف بماهية الدعاء،وما يتعلق به	٦٤
٦	الفصل الأول: من بلاغة دعاء النبي ﷺ على وجه الخصوص	٦٧
٧	المبحث الأول: من بلاغة الدعاء الخاص بذات النبي ﷺ نفسه.	٦٧
٨	المبحث الثاني: من بلاغة الدعاء الخاص بآل بيت النبي ﷺ.	٧٤
٩	المبحث الثالث: من بلاغة الدعاء الخاص لفرد بعينه أو جموعة من الصحابة ـرضي الله عنهمـ	٨٧
١٠	المبحث الرابع: من بلاغة الدعاء الخاص لقبيلة معينة.	٩٩
١١	الفصل الثاني: من بلاغة دعاء النبيﷺ على وجه العموم.	١٠٤
١٢	المبحث الأول: من بلاغة الدعاء الذي دعا به النبي ـصلى الله عليه وسلمـ لجميع المسلمين.	١٠٤
١٣	المبحث الثاني: من بلاغة تعليم النبي ـصلى الله عليه وسلمـ بعض الأدعية لأصحابه، وللإمة من بعدهم.	١١٤
١٤	المبحث الثالث: من بلاغة دعاء النبي ﷺلنفسه مع عامة المسلمين.	١٣٢
١٥	المبحث الرابع: من بلاغة بعض الأحاديث التي وردت في الدعاء على أشخاص أو أقوام بعينهم من النبي ـصلى الله عليه وسلمـ.	١٣٥
١٦	الخاتمة	١٤٣
١٧	فهرس المصادر والمراجع	١٤٦
١٨	فهرس المحتويات	١٥٤